الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي :...../.....

رقم التسجيل : 085096584

1335084732

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص :أدب جزائري

بعنوان :

جماليات التناص في شعر عثمان لوصيف ديوان "قالت الوردة" أنموذجا

من إعداد :

جميلة بتقة – بركاهم مشيكي

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة :

د/ ربيعـــة حمادي	الرتبة: أستاذ محاضر"أ" جامعة محمد بوضياف المسيلة	رئيســـا
د/ نورة قطـــوش	الرتبة: أستاذ محاضر"أ"جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقرار
د/عمر عليـــو ي	الرتبة: أستاذ محاضر"أ" جامعة محمد بوضياف المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية : 2018/2017

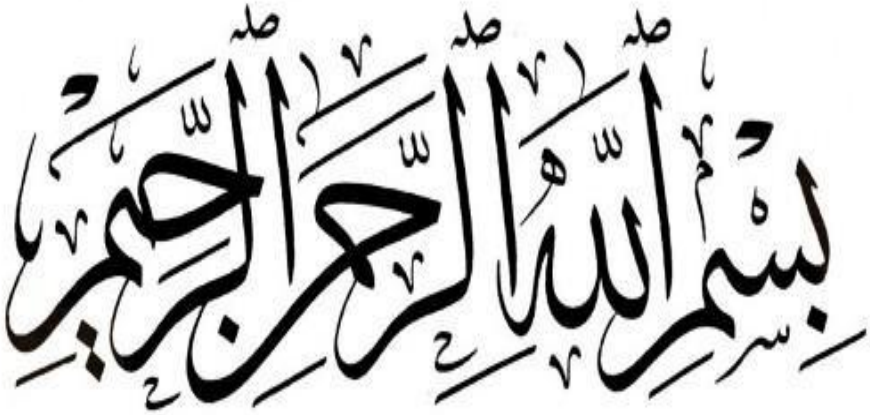
بسم الله الرحمن الرحيم

ظُلِّ الطَّيبِين عَلى هَذهِ الأَرض الطَّاهِرة

نخص بالذكر فضيلة الدكتورة " نورة قطوش" التي أشرفت على هذه الدراسة تلقينا منها إعانات كثيرة ، و إلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل الدكتور "عمر عليوي" والدكتورة "ربيعة حمادي"

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر إلى والدينا و جميع من أعاننا من قريب أو بعيد على

إخراج هذا العمل بصورته النّهائية لهم منّا جميعا

وافر الشّكر وعظيم الامتنان.

***

جميلة بتقة * بركاهم مشيكي

يقول علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –

« أنَّ الكلامَ لفِد »

مقدمـــــة

مقدمة :

نحمدك اللّهم أطيب الحمد وأوفاه ونشكر لك أصق الشكر وأسناه ونصلي ونسلم على أفضل المرسلين وسيد الهداة خير من نطق فأفصح ، وأبان فأعجز ،الحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن وجعله على خير لغة ، اللغة العربية التي قال فيها ابن قيم الجوزية :(إنّما يُعرف فضل القرآن من عَرَف كلام العرب ، فعَرَف علم اللغة وعلم العربية ، وعلم البيان ونظر في أشعار العرب وخطبها ...).[1] فاللغة العربية التي تكفالله حمان بحفظها لَمَّا حفظ القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. [2]

وبعد فالنص الأدبي هو سلسلة من الارتدادات والانعكاسات لمعان ودلالات متعددة ، ولا شك أن النقد العربي القديم قد تنبه إلى ظاهرة التناص دون أن يسميها وعبر عنها بمصطلحات أخرى مثل التضمين والاقتباس ، والسرقات والاستشهاد والقرينة وغيرها من المصطلحات .

يعتبر التناص ظاهرة ارتبطت بالشعر وذات تأثير كبير في التشكيل الجمالي للنص الأدبي بحيث يعاد إحياء النص الغائب أو التراث وقراءته في ضوء الحاضر وبناءه من جديد وفق رؤية فنيةو هو كتقنية حديثة يلجأ إليها المبدع في نصه من أجل توصيل أفكاره وتحرير مقاصده للمتلقي أو ما يسمى بتداخل النصوص أو تعالقها ، ويعد عثمان لوصيف من الشعراء الذين استلهموا التراث ووظفوه في شعرهم .

وبناء عليه يمكن أن نطرح جملة من التساؤلات :

- ما المقصود بالتناص ؟ ومتى ظهر هذا المصطلح ؟
- كيف وظف عثمان لوصيف النص الغائب في شعره ؟

---

[1] – شمس الدين أبي عبد الله المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ، تصحيح : السيد محمد بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط1، 1327هـ ، ص 7.

[2] – سورة : الحجر ، الآية 9.

- ماهي أنواع التداخلات النصية في ديوان " قالت الوردة " ؟

وللإجابة على هذه التسؤا لات قسمنا الدراسة إلى: مقدمة وفصلين وخاتمة.

الفصل الأول تعرضنا فيه لمصطلح التناص نظريا فعرفناه لغة واصطلاحا وتطرقنا إلى ذكر جذوره في النقد العربي القديم وتمت مقارنته مع بعض المصطلحات من الموروث النقدي كالسرقات ، المعارضة ، والاقتباس ، وذكر مفاهيمه في النقد الغربي والعربي المعاصرين

و تضمن الفصل الثاني التطرق إلى تجليات التناص شعر عثمان لوصيف فخصصنا التناص الديني ، والأدبي (الشعر) ، والتراث ، الأسطوري، ونبذة عن حياته كملحق مع إضافة بعض الأبيات من شعره وفي الأخير توج البحث بخاتمة حَ وتأهم النتائج المتوصّ ل إليها.

واعتمدنا المنهج الوصفي لرصد ظاهرة التناص لما بدا لنا أنه المناسب لهذه الدراسة

واتخذنا التحليل كأداة إجرائيةلفك الشفرات وتسهيل طريقة الحوار بين القارئ والنص

و تيسرت لنا مجموعة من المصادر والمراجع وكان من بين المصادر صحيح البخاري ، كما اعتمدنا على بعض المراجع المهمة(تحليل الخطاب الشعري) لمحمد مفتاح ، (التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر) جمال مباركي.

كما لجأنا إلى مجموعة من الرسائل الجامعية المهمة مثل (الصورة الفنية في شعر عثمان لوصيف) للباحث لزهر فارس .

أما إذا عرجنا عن المصاعب التي واجهتنا صعوبة قراءة نص عثمان لوصيف لأنه واسع التأويلات لذلك كان فيه صعوبة في ضبط بعض المفاهيم .

الصعوبة الثانية هي أننا حجرنا واسعا فلو أننا تطرقنا إلى بعض داوينه الأخرى ولم نحصر أنفسنا في ديوان واحد لسهل الأمر علينا .

ومع كل هذا وذاك فأننا نقول قد استمتعنا فعلا بتحليل الديوان وغصنا بعيدا في أعماق الشاعر فتعرفنا عن جوانب من شخصية عثمان لوصيف الرجل.

والفضل يعود في إنجاز هذا البحث للدكتورة الفاضلة نورة قطوش التي مدت لنا يد العون بتصحيحا وتصويبها فلها منّا فائق الشكر والامتنان.

وفي الأخير نقول هذا جهدنا فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان وصلى الله على سيدنا محمد .

الفصل الأول

إستراتيجية التناص ونظريته

- ماهية التناص
- اسراتيجية التناص
- نظرية التناص

تمهيـد :

تُعدّ اللغة وسيلة من وسائل اتصال الفرد بمحيطه الاجتماعي والبحث في الأصول اللغوية ماهو إلا لفهم أبعادها وضبط دلالاتها ولهذا نلجأ إلى المعاجم لمعرفة جذور الكلمة و اشتقاقاتها الصرفية فالتناص كمادة لغوية لم تذكره المعاجم القديمة فهو يعد أداة من أدوات التعبير الأدبي المعاصر والذي جاء بتسميات مختلفة.

المبحث الأول : ماهية التناص

نجد لمفهوم التناص معاني متعددة ، لذا وجب علينا تحديد معنى كلمة نص

أ- لغـــة :

وردت كلمة عند "ابن منظور" في معجمه لسان العربنصّ " المتاع نصا : جعل بعضه فوق بعض ، والنص والنصيص : السير الشديد والحث ، وأصل النص أقصى الشيء و غايته ويقال "نصص" النص : رفعك الشيء ، ونص الحديث نصا رفعه ، وكل ما أظهر فقد نص ، ونص القرآن ونص السنة أي ما دل ظاهر لفظه عليه من الأحكام.[1]

و"النص" في معجم "محيط المحيط" يطلق على الكلام المفهوم من الكتاب أو السنة ، وهذا يعني أن "النص" هو ما ظهر واشتهر.[2]

أما عند العلماء الألسونيين والباحثين والنقاد ، فإن "النص" عند العالم اللساني "هلمسليف" يعني الملفوظ اللغوي المحكي أو المكتوب ، وعند "تودوروف" : "النص إنتاج لغوي منغلق على ذاته ومستقل دلالاته وقد يكون جملة أو كتابا بأكمله"[1].

---

[1]- جمال الدين ابن منظور: لسان العرب ، مادة نصص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ط) مج7 ،2003، ص96،98.

[2]- محمد عزام : النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، (د.ط)، 2001، ص28.

ب –اصطلاحـا :

التناص هو القاعدة التي ينطلق منها تبادل النصوص وتزاحمها وتداخلها فيما بينها والذي يعني مجموعة الأفكار والكلمات التي أخذت من نصوص أخرى ، لذا كان علينا قبل الولوج إلى التناص كمصطلح نقدي أن نتطرق إلى النص الأدبي ،لأنه يعتبر ميدان التناص ومادته الأساسية .

عرفت الباحثة "جوليا كريستيفا" (julia krestiva) النص بأنه :" تبادل للنصوص أي أنه تداخل لها ففي فضاء نص ما تتقاطع وتنعزل كثير من العبارات المأخوذة من نصوص أخرى [2].

وعرفه "رولان بارت" (R.barths) بقوله :" لا ينبغي أن نخلط بين النص الأدبي والعمل الأدبي فهو شيء مفروغ منه ، نحتفظ به ، ويستطيع أن يملأ فضاء فيزيائيا [3].

بينما يعرفه "سعيد يقطين" بأنه:" بنية دلالية تنتجها ذات فردية أو جماعية ضمن بنية نصية منتجة [4].

أما "محمد مفتاح" فعرفه على أنه:" مؤلف من الكلام وليس صورة فوتوغافية أو رسما أو عمارة وا ٍن كان الدارس يستعين برسم الكتابة وفضائلها وهندسيتها في التحليل [5].

---

[1] - محمد جودات : تناصية الانساق في الشعر العربي الحديث، عالم كتب الحديث، أربد، الأردن (د . ط) ، 2011 ، ص 13 .

[2]– محمد جودات : تناصية الأنساق في الشعر العربي الحديث ، عالم كتب الحديث أربد الاردن ، (د.ط) ،2011،ص13.

[3]– عز الدين مناصرة : علم النص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان الاردن ، ط1 ، 2006 ،ص 136.

[4]– سعيد يقطين :إنفتاح النص الروائي ، (النص والسياق) المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط3، 2006، ص32.

[5]– محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) المركز الثقافي العربي ،بيروت ،لبنان ، ط1،2005،ص120.

فالنص الأدبي لم يعد مجرد كبسولة مغلقة تتموقع خارج شروطها الزمانية والمكانية التي أوجدتها ، حيث تحرر من مقولة النص النموذج الذي يدعي الزيادة ويتبرأ من التأثير والاقتباس ، فهو في الدراسات الحديثة ذلك الوعاء المفتوح على التيارات والمذاهب المتعددة والمعرض لعلاقة التأثير والتأثر ، فالنصوص الأدبية مهما كانت صفتها قديمة أو جديدة ، شعرية أو نثرية تتفاعل فيما بينها وتتعالق مع بعضها البعض لتعطينا ذلك النص الجديد [1].

النص هو عملية استرداد ونقل لتعابير سابقة أو متزامنة مع النص المكتوب، فهو (اقتطاع) و(تحويل) وكل ذلك يشكل النص وينتمي إليه انتماء جماليا وفكريا [2].

مفهوم التنـــاص

أ- لغـــة :

النص رفع الشيء ونص الحديث ينصه نصا رفعه وكل ما أظهره فقد نص الدابة ينصها نصا رفعها ، وكذلك الناقة والنص والنصيص السير الشديد و الحث ويقال نصصت الشيء رفعته و(نصصت) المتاع : جعل بعضه فوق بعض ، و(النص) الحديث إلى صاحبه : رفعه وأسنده إلى من أحدثه ، و (نصصت) الرجل استقصى مسألته حتى استخرج ما عنده. والتناص : ازدحام القوم[3].

فالتناص يأتي بمعنى الإبانة والإظهار والازدحام والاتصال .

---

[1]- فيصل الأحمر ونبيل دادوة: الموسوعة الأدبية ، دار المعرفة ، الجزائر ، (د.ط)، 2008، ج1، ص119.

[2] - تيزفيتان تودوروف وآخرون : في أصول الخطاب النقدي الجديد (مفهوم التناص في الخطاب النفسي ، ترجمة أحمد المدني، دار الشؤون الثقافية بغداد ، العراق ، (د.ط) ،1987،ص103.

[3]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر أحمد الزمخشري : أساس البلاغة ، مادة (ن- ص) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط2، 2010، ص275.

ب- اصطـلاحا :

إنّ مصطلح التناص في النقد العربي الحديث هو ترجمة للمصطلح الفرنسي (intertexte) حيث تعني كلمة(inter) الفرنسية :التبادل : بينما تعني كلمة (texte) النص، وأصلها مشتق من الفعل اللاتيني (textere) وهو متعدد ويعني (نسيج) أو (حبك)، وبذلك يصح معنى (intertext) التبادل النصي وقد ترجم إلى العربية : بالتناص الذي يعني : تعالق النصوص بعضها ببعض.[1]

ويرى ابن الأثير أن يضمّ ن الشاعر شعره والناثر نثره كلاما آخر لغيره، للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود .[2]

إن عملية التناص هي عملية بعث للتراث الحضاري من جديد، فالنصوص المغمورة أو الميتة والمهملة دلاليا وإيديولوجيا، تحيا من جديد في النصوص التي تعيد كتابتها وتؤدي وظائفها التي كتبت من أجلها.[3]

من هنا نكتشف البؤرة المزدوجة للتناص :" إنه يلفت اهتمامنا إلى النصوص الغائبة والمسبقة وإلى التخلي عن أغلوطة إستقلالة النص لأن أي عمل يكسب ما يحققه من معنى بفضل ما كتب قبله من نصوص كما أنه يدعونا إلى اعتبار هذه النصوص الغائبة مكونات لشفرة خاصة يمكّننا وجودها من فهم النص الذي نتعامل معه وفض مغالق نظامه الاشاري ، ازدواج البؤرة هنا هو الذي يجعل التناص نوعا من توصيف العلاقة المحددة التي يعقدها نص ما بالنصوص السابقة ، ولكنه يتجاوز ذلك إلى الإسهام في البناء الاستطرادي

---

[1]- أحمد ناهم : التناص في شعر الرواد ، دار الآفاق العربية ،القاهرة ،ط1 ، 2007، ص19.

[2]- ماجد ياسين الجعافرة :التناص والتلقي (دراسات في الشعر العباسي) ، دار مكتبة الكندي، للنشر والتوزيع ، عمان ، 2014، ص20.

[3]- جمال مباركي : التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر ، ص138

والمنطقي لثقافة ما وا ٍلى استقصاء علاقاته بمجموعة من الشفرات والمواصفات التي تجعله إحتمالا وا ٍمكانية داخل ثقافة ما ، والتي تبلور احتمالات هذه الثقافة[1]

ويعرف التناص كذلك على أنه نص من نصوص سابقة عليه أو متزامنة معه تشكيلا وظيفيا بحيث أن كل نص هو امتصاص وتحويل لكثير من نصوص أخرى .[2]

وقد استعمل النقاد المعاصرون مصطلح التناص كأداة إجرائية لنقد النصوص وا ٍقحام عوالمها الثقافية والجمالية إذ أضحت الإنتاجية الشعرية المعاصرة تمثل في أغلبها " عملية استعادة لمجموعة من النصوص القديمة في شكل خفي ".[3]

والتناص تشكيل نص جديد من نصوص سابقة أو معاصرة بحيث يغدو النص المتناص خلاصة لعدد من النصوص التي تمحي الحدود بينها ، وأعيدت صياغتها بشكل جديد ، بحيث لم يبق من النصوص السابقة سوى مادتها ، وغاب "الأصل" فلا يدركه إلا ذوو الخبرة والمران .[4]

من كل ما سبق يتضح لنا أن التناص هو تداخل النصوص فيما بينها القديمة منها والحديثة سواء بشكل جلي ٍا و بشكل خفي لإعطاء معنى جديد .

---

[1]– موسى لعور : التناص في رواية الجازية والدراويش ، لابن هدوقة ، دراسة من منظور لسانيات النص ، رسالة ماجستير ، إشراف د .بلقاسم دفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم الأدب العربي ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2008، ص2.

[2]– خليل موسى : قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر ، منشورات متحد الكتاب العرب ، دمشق (د.ط) ، 2000، ص93.

[3]– جمال مباركي : المرجع السابق ،ص 118 –119.

[4]– محمد عزام : المرجع السابق ، ص29.

المبحث الثاني :إستراتيجيـــةالتنـــاص

1-التناص فـي النقد العربـــي القديـم

إن الدارس للخطاب البلاغي العربي القديم في مصادره الأصلية يجد قضية تداخل النصوص وتراكمها فوق بعضها البعض قد انتبه إليها بلاغيونا القدامى وشغلت حيزا كبيرا من دراستهم النقدية ، و الهدف النقدي الأول من تلك الدراسات " الوقوف على مدى أصالة الأعمال الأدبية المنسوبة إلى أصحابها ، ومقدار ما حوته من الجدة والابتكار.[1]

وهذا الطرح قد شغل القدامى والمحدثين، قال "القاضي الجرجاني" : الشاعر يستعين بخاطر الأخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه، وكان أكثره ظاهرا كالتواردوا إن تجاوز ذلك قليلا في الغموض لم يكن فيه اختلاف الألفاظ ثم تسبب المحدثون إلى إخفائه بالنقل والقلب وتغيير المناهج والترتيب وتكفلوا جبر ما فيه من النقيصة بالزيادة والتأكيد

والتعريض في حال والتصريح في أخرى ، والاحتجاج والتعليل فصار أحدهم إذا أخذ معنى أضاف إليه من هذه الأمور ما لا يقتصر معه عنخلتراعه وا إبداع مثله .

وذكر نص القاضي الجرجاني أن أكثر هذا النوع افتضاحا هو "التوارد " أو ما يطلق عليه البعض "موقع الحافر على الحافر "أو "عقول الرجال تتوافى على ألسنتها " ويذكر أبو هلال أنه : " كان القوم في قبيلة واحدة وفي أرض واحدة فإن خواطرهم تقع متقاربة كما أن أخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة ، ويرى الآمدي أنه " غير منكر لشاعرين متناسبين من أهل بلدين متقاربين أن يتفقا في كثير من المعاني .[2]

يقول كعب بن زهير :

لمأر انا نقول إلا رجيعـا ومعدا من قولنا مكـرورا

---

[1] – جمال مباركي : المرجع السابق ، ص49.

[2]– مصطفى السعدني : التناص الشعري قضية أخرى لقضية السرقات، ص91.

وتأكيدا لهذه الحقيقة يرو ى "ابن رشيق" في العمدة قول الإمام "علي بن أبي طالب"– كرم الله وجهه– : (لولا أن الكلام يعاد لنفد) .[1]

فامرؤ القيس – مثلا– لم يتركه الإرث النصي حرا إذ تدافعت عليه الأشعار " القوافي" فطفق يتخير من نصوصها المرجان والدر ويبعد الزهيد المرذول ليجعل لنفسه موضعا بين الشعراء ، ولتكون تجربته النصية متميزة من غيرها ، فهو يمارس مرحلة ما قبل النص ومن ثم الشروع في النص الإبداعي " مرحلة النص" ليصل إلى النص المتقبل الذي ينتجه ... وما قننه "محمد بن سلام الجمحي" قبل نحو ألف سنة من أرباب التناصية ، حيث قال عن شعرائنا وما سبقه من الشعراء " ما قال ما لم يقولوا " ولكن سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنتها العرب واتبعته فيها شعراء.[2]

والشاعر الجاهلي قد أقر من أخذ اللاحق من السابق حيث كان اعتماد المقدمة الطللية في استهلال القصيدة الجاهلية وهو ما عبر عنه "امرؤ القيس" بقوله :

عُوجَ عَلَى الطَّلَلِ المُحِيلِ لأَنَّنَا ... نَبكِي الدِّيَارَ كَمَا بَكَى ابْنُ خِذَامِ .[3]

هذا إن دلّ فإنه يدل دلالة واضحة من أن الشعراء القدامى قد أيقنوا أنهم يكررون نفس الموضوعات وأن معجمهم الفني تقريبا واحد ، بمعنى أن البيئة كان لها التأثير الشديد على أفكار أفرادها ،لأن الإنسان اجتماعي بطبيعته فهو يؤثر ويتأثر وهذا ما كان سائدا عند الشعراء السابقين ،وأنهم كانوا موقنين بذلك فلهذا يظهر شعرهم في شعر بعض سواء كان بشكل جلي أو خفي كما أننا نجد مجموعة من المصطلحات والمفاهيم تتقاطع ومصطلح التناص الحديث نذكر منها:

---

[1]– جمال مباركي : المرجع السابق ، ص20،51.

[2]– حسين جمعة : المسبار في النقد الأدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتناص) ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (د. ط) ، 2003، ص 144– 145.

[3]– امرؤ القيس : الديوان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط 5 ، (د.ت) ، ص 114.

أ- **الاقتباس** : إن الاقتباس من القرآن الكريم يأتي على ثلاثة أقسام :" مقبول ، ومباح، ومردود" فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك ، والمباح ما كان في الغزل والرسائل والقصص ، أما المردود فهو على ضربين : أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه والأخر تضمين أية في معنى هزل.[1]

كما يعرف على أن يضُمـّ ن المتكلم منثورة أو منظومة ،شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف على وجه لا يشعر بأنه منهما .[2]

ب - **التضمين** : وهو أن يضـَّمن الشاعر شيئا من شعر الغير ، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورا عند البلغاء.[3]

يعرف ابن قيم الجوزية التضمين : " وأما التضمين في الشعر فلا يخلو إما أن يكون البت المتضمن مشهورا أو غير مشهور ، فإن كان مشهورا لم يحتج إلى تنبيه أنه من كلام غيره لأن شهرته عن ذلك ، وا ِن كان هو غير مشهور فلا بد من التنبيه إلى أنه ليس من شعره[4]

جـ - **السرقات الشعرية** :قال ابن منظور في لسانه ، السرقة الأخذ بخفية ، وهي من سرق الشيئ يسرقه سرقاً وسـ ِرقا ، والاسم السرق

وقال عنها محمد مفتاح هي النقل والاقتراض والمحاكاة مع إخفاء المسروق

والسرقات ليست وليدة العصر الحديث، فهي موغلة في القدم تنبه لها النقاد ومن قبلهم الشعراء .

---

[1]- بدوي طبانة ، السرقات الأدبية (دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،(د.ط)، 1986، ص 163،164.

[2]- أحمد الهاشم : جواهر البلاغة في المعني والبيان والبديع ، منشورات دار إحياء التراث العربي ، ط12، بيروت لبنان ، (ب ت)، ص416.

[3]- جلال الدين القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق فوزي عطوان ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط4، 1998 ،ص 370.

[4]- ابن قيم الجوزية : الفوائد المشوق في علوم القران وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، (د .ط)،(د.ت)، ص118.

وإذا وصلنا إلى شعر حسان بن ثابت وجدناه ينص على ذلك صراحة في قوله :

سبقوا هوي وأعنقوا ليهيع فتق الشعراء ما نطقوا ولكل جارية يقول فحولهم شعري

وهو نفسه ما يؤكده طرفة ابن العبد بقوله:

ولا أغير على الأشعار أسرقها عنهن غنيت والنشاز من سرق [1].

لقد وضع النقاد المحدثون فروقا للتمييز بين السرقات والتناص وإقامة الفواصل بينهما ، فعلى مستوى المنهج اعتمدت السرقات المنهج التاريخي التأثري والسبق الزمني فالأصل للنص الأول والسارق هو اللاحق والأفضلية للسابق ، بينما اعتمد التناص على المنهج الوظيفي ولا يهتم كثيرا بالنص الغائب ،أما على مستوى القيمة فقد سعت الآراء بالنسبة للسرقة على أنها شيئ معاب مستنكر يُدان صاحبه ،أما في التناص فهو أهم ملامح الإبداع

ففي التناص ينظر إلى النص كاملا والأخذ فيه عنصر يتيح قراءة أجمل للنص ،فلا حدود بين البيت المأخوذ والنص الحاضر ، لأن النص يقوم بعملية هدم البيت المأخوذ وبنائه في نص جديد ، فيصبح إشارة إلى نص غائب يثري النص الحاضر.[2]

وتعرف كذلك "بأن يعمد الشاعر اللاحق ، فيأخذ من شعر السابق بيتا شعريا أو شطر بيت ، أو صورة فنية أو معنى .[3]

د – **النقائض** : هي أن يتجه شاعر إلى آخر هاجيا أو مفتخرا ، فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ، ملتزما البحر والروي والقافية التي اختارها الأول.[4]

---

[1]– طرفة بن العبد : الديوان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (د.ط)،1961، ص 70.

[2]– عبد الفتاح داود كاك : التناص (دراسة نقدية في التأصيل لنشأة المصطلح ومقاربته ببعض القضايا النقدية القديمة)، (د.ط) ،2015، ص22.

[3]– محمد عزام : المرجع السابق ، ص83.

[4]– أحمد الشايب : تاريخ النقائض في الشعر العربي ، مطبعة النهضة ، ط2،مصر ، 1954،ص 3.

2-التناص في النقد الغربي الحديث

لقشكل مفهوم التناص نقطة الاهتمام في العالم الغربي بدءً من"جوليا كرستيفا"التي تأثرت "بمخيائيل باختين"ثم بقية النقاد الذين تأثروا بها وا ٍنتهاء بجيرار جينيت ، حيث اختلف التعامل مع مفهوم التناص من قبل النقاد باختلاف مشاريعهم المعرفية والفلسفية .

أ- مخيائيل باختين (M. Bakhtin)

ويعد مخيائيل باختين أول من أسس مبدأ الحوارية (didalogisme) حيث استفاد من جهود الشكلانيين الروس الذين انتهو في أبحاثهم إلى مسألة مفادها " أن حركية العلاقات التي تقوم بين الأعمال هي المحرك لتطور النصوص ".[1]

ب-جوليا كريستيفا : (Julia krestiva)

تعد هذه الرائدة كما أشرنا سابقا أول مبلورة لمفهوم التناص ، وما تشير إليه الدراسات حول التناص، "وجوليا كريستيفا" التي حولت "حوارية باختين" بمصطلح التناص فهي بهذا ليست مقلدة أو ناسخة بل مبدعة وفي مفهومها للتناص تقول "إن قراءة نص هو العثور في تناصية على آثار نصوصية سابقة ومقاطع مفرقة .[2]

وقد قالت : " أن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى .[3]

وفي تعريف آخر للتناص تقول :"كموزاييك من الاستشهادات ، كل نص هو امتصاص وتحويل لنص آخر ...[1].

---

[1]- نتالي بيغي غرو : مدخل إلى التناص، ترجمة :عبد الحميد بورايو أبو شبكة . بحث في المصادر والدلالات ، مديرية الثقافة لولاية الوادي ،ط1،2003 ، ص12.

[2]- عبد الجليل مرتاض : التناص ، ديوان المطبوعات الجامعية ،2011 ، ص13.

[3]- حسين جمعة ،المرجع السابق ، ص 41.

جـ-رولان بارت (Roland Barthes)

لقد ورد مصطلح التناص عند "رولان بارت" لأول مرة عام 1973ويشير إلى مفهوم التناص في كتابه " لذة النص" على أنه يتجلى في سياق قراءة لا تلزم بشيء ، فالتناص هو استحالة العيش خارج النص اللانهائي سواء كان هذا النص صحيفة يومية أو شاشة تلفزيونية ، فالكاتب يكتب منطلقا من لغته التي ورثها عن سالفيه ومن أسلوبه الذي هو شبكة من الاستحواذ اللفظي ، وا ن طبيعة الكتابة تقتصي الإسناد إلى المخزون اللغوي الذي هو نتاج تراكم وتحصيل لعدد كبير من النصوص ، ولذلك فان النص أو الخطاب الذي يقدمه المبدع هو نتاج تفاعلات لا حصر لها مخزونة في ذهن المبدع.[2]

ويعتبر " كل نص هو تناص والنصوص الأخرى تتراءى فيه بمستويات متفاوتة وبأشكال ليست عصية على الفهم بطريقة أو بأخرى ، فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة .[3]

إن النص والأثر الأدبي في نظر بارت ليسا واحدا " فالأثر أحادي أما النص فتعددي ولهذا فإن النص يتجاوز المجتمعات ويخرقها ،وهذا ما يضمن خلوده لأنه لا يفرض معنى وحيدا لدى أناس مختلفين ، وا نما لكونه يوحي بمعان مختلفة لإنسان واحد ".[4]

يعتبر رولان بارت أن النص يوحي بمعان متعددة للفرد ذاته لذلك نجده يبقى ويدوم في المجتمعات .

يقدم رولان بارت تصوراته أحوال النص باعتباره سلسلة من الاقتباسات ،والكتابة باعتبارها هدما و ا عادة بناء ، أما القارئ فقد جعله ذلك الفضاء الذي ترتسم فيه كل الاقتباسات التي

---

[1]- محمد خير البقاعي : دراسات في النص والتناصية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ،سوريا، ط1، 1998 ،ص59 - 60 .

[2]- نور الدين السد :الأسلوبية وتحليل الخطاب ، دراسة في النقد العربي الحديث ، ط2، (د.ت) ،ص79.

[3]- حسين جمعة :المرجع السابق ، ص 141.

[4]- محمد عزام : المرجع السابق ، ص 19.

تتألف منها الكتابة ، دون أن يضع أي منها أو يلحقه التلف فليست وحدة النص في منبعه و أصلها إنما هي في مقصده واتجاهه".[1]

كل ما سبق ذكره كان سببا في تطوير التناص والتنظير له ولكن لم ترتكز على الآليات التي تعمل وفقها النصوص وهو ما تفطن إليه "جيرار جينيت"

د-جيرار جينيت (Gerard Genette)لقد أعطى الناقد الفرنسي"جيرار جينيت" للتناص مرادفا آخر سماه بـ التعاليات النصية أو التعالي النصي للنص ومعناه :" كل ما يجعل نص يتعالق مع نصوص أخرى بشكل مباشر أو ضمني.[2]

ومنه يقصد بالتعاليات النصية أن كل نص ينتج ضمن بنية نصية سابقة فهو يتعالق ويتفاعل معها ، سواء كان ذلك ظاهرا أو خفيا فالتعالق النصي Hypertexttualitè "وهو النوع الذي خصه ""جينيت بالدراسة في كتابه أطراس ويقصد به كل علاقة تجمع نصا: [Hypertexte] بنص سابق Htpertexte وقد وضع له جينيت مفهوما عاما أسماه بالأدب من الدرجة الثانية Latiterature au second degree.[3]

والنص الفعلي الذي قدمه "جيرار جينيت" في قوله :"علاقة حضور مشترك بين نصين أو عدد من النصوص بطريقة استحضارية في أكثر الأحيان من خلال الحضور الفعلي للنص داخل نص آخر.[4]

ويشير "جيرار جينيت" إلى أن التناص هو الذي يجعل النص دائما في حالة التباس وغياب بقوله :" النص عبارة عن نسيج من الملصقات والتطعيمات إنه لعبة منفتحة ومنغلقة

---

[1]- رولان بارت : درس السيميولوجيا ، جمعة عبد السلام بن عبد العالي ، دار توبقال المغرب ، ط3 ،1993، ص87.

[2]- سعيد يقطين : المرجع السابق ، ص97.

[3]- عبد القادر بقشي :التناص في الخطاب النقدي والبلاغي (دراسة نظرية وتطبيقية)، تقديم :محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، المغرب 2007، ص22.

[4]- ليدياوعد الله :التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان ، الاردن ، ط1،2005، ص34.

في الوقت ذاته ولهذا السبب فمن المحال أن نكشف النسب الوحيد والأولي للنص وذلك أنه ليس للنص أبا واحدا بل مجموعة من الأصول والأنساب.[1]

مما سبق نستطيع القول أن النص هو عبارة عن مزيج من النصوص المتداخلة السابقة والمعاصرة له وبالتالي يصعب التمييز بين النص الأصلي والنصوص الأخرى المتعاقبة معه لكن يمكن القول أن مصطلح التناص الذي شغل النقاد الغربيين به فإنه لم يكن بينهم إجماع على مصطلح واحد موحد متفق عليه وذلك راجع إلى المدارس النقدية المختلفة التي اهتمت به ، ومنه كثرت الدراسات النقدية في هذا المجال : " فكان من الصعب جدا الوصول إلى تعريف نهائي لمفهوم التناص بسبب بنائه أصلا على مبدأ تعددية المعاني.[2]

ويحدد جينيت أنماط (التعالي النصي) في خمسة أنماط هي :

- (**التناص**) وهو العلاقة بين نصين أو أكثر، كما يتجلى في الاستشهاد والتلميح والسرقة وغيرها .

- (**الميتانص**) أو ما وراء النص ، وهو علاقة التعليق الذي يربط نصا بآخر يتحدث عنه دون أن يذكره ، ويمثل له جينيت بكتاب (فينو مينولوجيا الروح) لهيجل الذي يلمح بطريقة مبهمة إلى كتاب (ابن أخ رامو) لدريدو.

- (**النص الأعلى**) وهو العلاقة التي تجمع بين نص أعلى ونص أسفل ، وهي علاقة تحويل ومحاكات ومثالها (أوديسة)"هوميروس" التي تحاكيها (أوليس) "جويس" وتختلف عنها

- (**المناص**) ونجده في العناوين ، والعناوين الفرعية، والمقدمات والخواتيم ، والصور وكلمات الناشر ...الخ .

---

[1]– وليد قطاب : مناهج النقد الأدبي الحديث (رؤية أسلامية) ، دار الفكر، دمشق، سوريا (د.ط)، (د.ت) ، ص225.

[2]– الظاهر محمد الزاوهرة : التناص في الشعر العربي المعاصر ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1،2013 ، ص63.

ومثالها رواية (أوليس) "لجويس" ، فقد عنون كل فصل فيها بما يذكر بعلاقة هذا الفصل مع مشهد من (الوديسة) عرائس البحر ، بنيلوبي...الخ ،وعلى الرغم من أن المؤلف حذف هذه العناوين الفرعية من الرواية في طبعتها الثانية فإنها ظلت في أذهان النقاد كقسم من الرواية .

-(**جامع النص**) أو معمارية النص ، وهو النمط الأكثر تجديدا ويتضمن مجموعة من الخصائص التي ينتمي إلها كل نص على حدة في تصنيفه كجنس أدبي : رواية ، محاولات شعرية ...الخ.

-وقد شرح جنيت كل نمط من هذه الأنماط الخمسة في كتاب مستقل فوضع كتاب (معمارية النص)1986للنص و(عتبات) 1987للمناصة.[1]

ويحدد "جينيت "وفق ذلك مستويين للتعامل مع النص الغائب ، ففي مستويات التفاعل النصي يتسائل عن كيفية حصول التفاعل أفقيا وعموديا ، مع البنيات النصية المتفاعل معها هذين المستويين هما :

المستوى العام (الأفقي) : فيه تتداخل البنيات أو تتفاعل أفقيا على المستوى الخارجي أو التاريخي ففي هذا المستوى نجد أنفسنا أمام بنيتين مختلفتين تاريخيا وبنيويا ذلك أن الخطاب الروائي يشتمل على بنيتين واحدة خاصة به ، والأخرى خاصة بالنصوص الغائبة ، لكن النص الروائي وهو يتعامل مع بنية النص الآخر ، يحولها ويدمجها ويذيبها في بنيته ومتنه السردي ، فينقل عوالمها الخاصة بها (أسلوبيا / لغويا) لينتج بذلك نصا جديدا له مميزاته وخصائصه الأسلوبية المنفردة .[2]

---

[1]- محمد عزام : المرجع السابق ، ص41.

[2]- سعيد يقطين : المرجع السابق ، ص126.

تظم رواية (فوضى الحواس) داخل خطابها الفني ، بنيتين متميزتين أولهما تخص الواقع وما حدث فيه من وقائع تاريخية ، توهم بواقعية الرواية وحقيقتها (العشرية الحمراء العدوان الثلاثي ...) ، وثانيها هي بنية الخيال الذي تجمح بكل تلك الوقائع إلى مرتبة الجمال والفن فيمزج بين تلك النصوص في قالب فني يجمع بين المتضادات (حلم / حقيقة) (واقع / خيال) (ممكن / مستحيل).

-**المستوى الخاص أو (العمودي)** : يحدث هذا المستوى من التفاعل النصي مع بنيات جزئية وليس مع بنية كبرى ، كالخطاب التاريخي أو الديني ، حيث يتم استيعاب هذه البنيات الجزئية وتضمنها في متن البنية النصية .

قد وظف الخطاب الديني في الرواية (فوضى الحواس) كبنية جزئية ، تصف لنا حالة سيدنا عيسى -عليه السلام - وهو مصلوب ، كتشبيه بين حالته وحالة (زوربا) على شاطئ الفاجعة ، فتراصت هذه البنيات الجزئية لتشكل بنية موازية للنص الروائي .

ومن خلال هذه الأشكال والمستويين ، يمكننا أن نلاحظ أن التفاعل النصي يشتغل أفقيا وعموديا داخل بنية النص فهو يساعدنا على تقديم كامل حول النص .[1]

مما سبق يتبين لنا صعوبة الحديث عن التناص على أنه مصطلح ذو ملامح فكرية ، وحدود واضحة تماما .

3- التناص في النقد العربي الحديث

لقد كان مفهوم التناص جديدا بالنسبة للكتابات النقدية الحديثة إذ كان الاعتماد أكثر على ما جاء به النقاد الغربيين لكن النقاد العرب قد توسعوا في هذا المفهوم وأعطوه تعاريف كثيرة نظرا لاختلاف ترجمة المدارس النقدية وسنأتي على مجموعة من النقاد الذين خاضوا في هذا المجال من بينهم :

[1]- سعيد يقطين : المرجع السابق، ص 126

أ – محمد مفتاح

فقد حاول "محمد مفتاح" في كتابه (تحليل الخطاب الشعري) إستراتيجية التناص أن يعرف مفهوم التناص اعتمادا على طروحات كر يستيفا" ، و"بارت" و"ريفاتير" و "جينيت "ففي تعريف التناص عرض تعريفات هؤلاء النقاد وغيرهم ، ثم خلص إلى تعريف جامع للتناص : هو تعالق" دخول في علاقة " مع نص حدث بكيفيات مختلفة ، ولكنه في كتابه الآخر "دينامية النص" يعود ليعطي التناص تسمية جديدة هي "الحوارية " ، ويحاول أن يستخدم هذا المفهوم في إطار يستمد من البايولوجيا أغلب مصطلحاته ومفاهيمه.[1]

فأساس إنتاج أي نص حسب" محمد مفتاح"هو معرفة صائبة للعالم وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي وقد وسع محمد مفتاح في كتابه دينامية النص تنظيرا وانجازا تحت موضوع الحوارية في النص الشعري ، وتناسق النص الشعري وحاول الإجابة على أشكال الاجترار وا ٍعادة الإنتاج في الثقافة العربية ومجالي السخرية والجدية ودرس هذه الظاهرة باعتبار وظائف كل إنتاج في بنيته وقصديته وظروف إنتاجه مبينا كيفية اشتغال النص بناء على شبكة العلاقات .[2]

ب –عبد المالك مرتاض :

يرى الناقد "عبد المالك مرتاض" :" أن النص شبكة من المعطيات الألسونية والبنيوية والإيديولوجية " التي تتضافر فيما بينها لتنتجه فإذا استوى مارس تأثيرا عجيبا من أجل

إنتاج نصوص أخرى ، فالنص قائم على التجديدية ، بحكم مقروئيته ، وقائم على التعددية بحكم خصوصية عطائية تبعا لكل حال يتعرض لها في مجهر القراءة ، فالنص ذو قابيلية

---

[1]– أحمد ناهم : المرجع السابق ، ص 42 –43.

[2]– محمد مفتاح : دينامية النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط2 ،1990 ، ص 81 .

للعطاء المتجدد بتعدد تعرضه للقراءة ، ولعل هذا ما تطلق عليه "جوليا كريستيفا " إنتاجية النص productivitè".[1]

ويذهب إلى أن " التناص ليس إلا حدوث علاقة تفاعلية بين نص سابق ونص حاضر لإنتاج نص لاحق وهو ليس إلا تضمينا بغير تنصيص حسب مقولة بارت".[2]

نستشف من القول السابق أن العلاقة بين النصوص هي علاقة تفاعل وأن النص يتجدد وفقا لقراءته .

جـ – محمد بنيس :

يُعتبر الناقد "محمد بنيس" أحد النقاد المعاصرين الذين تغلغلوا في مفهوم التناص ففي كتابه (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب) و (حداثة السؤال) إذ أطلق على مصطلح "التناص "مصطلح " التداخل النصي" الذي يحدث نتيجة تداخل نص حاضر مع نصوص غائبة ، والنص الغائب هو الذي تعيد النصوص كتابته وقراءته ، أي مجموعة النصوص المتسترة التي يحتويها النص الحاضر ، وتعمل بشكل باطني عضوي على تحقق هذا النص وتشكل دلالته.[3]

أما في كتابه (حداثة السؤال) فقد استعاض مصطلح " التناص " بمصطلح " هجرة النص"الذي شطّره إلى شطرين ، فهناك (نص مهاجر) و(نص مهاجر إليه)وهذا المفهوم اهتدى إليه الباحث نتيجة تأمل الوضع التاريخي للنص الشعري العربي الفصيح بالمغرب ، وهذه الهجرة لا تتم لأي نص أدبي وا ٍنما للنص الذي يحكمه قانون عام لهذه الهجرة التي من خلالها يقرأ ويعيد إنتاج نفسه لأن ما يبقى ويستمر في التاريخ هو ما يكون فاعلا في مصير

---

[1]– نور الدين السد: المرجع السابق ، ص103.

[2]– احمد ناهم :المرجع السابق ، ص 45.

[3]– جمال مباركي : المرجع السابق ، ص43.

الإنسان وعاملا رئيسا في تحوله وتحرره والقانون العام لهجرة النص كما حدده "بنيس" يتلخص فيما يلي :

– إذا كان النص يجيب عن فئة اجتماعية في فترة من الفترات التاريخية وفي مكان محدد أو أمكنة متعددة .

–إذا كان النص يجيب عن مجال معرفي أو مجالات معرفية مؤطرة أو غير مؤطرة زمانا ومكانا .

– إذا كان النص يجيب عن سؤال جميع هذه المجالات أو بعضها دون البعض الآخر.[1]

في الأخير نخلص إلى أن التناص هو من المفاهيم النقدية في تكوين النص وأنه إحياء لبعض النصوص السابقة .

وقد قسم محمد بنيس معايير النص الغائب إلى ثلاثة أقسام وهي :

–**التناص الاجتراري:** "الاجترار هو تكرار للنص الغائب من دون تغيير أو تحوير وهذا القانون يسهم في مسخ النص الغائب لأنه لم يطوره ولم يحاوره واكتفى بإعادته كما هو أو مع إجراء تغيير طفيف لا يمس جوهره بسوء بسبب من نظرة التقديس والاحترام لبعض النصوص والمرجعيات لا سيما الدينية والأسطورية منها من جهة ومن جهة أخرى فقد يعود الأمر إلى ضعف المقدرة الفنية والإبداعية لدى الذات المبدعة في تجاوز هذه النصوص شكلا ومضمونا إذ تبقى النصوص الجديدة أسيرة لتلك النصوص السابقة " .[2]

وهنا يعيد الشاعر كتابة النص بدون أن يدخل عليه تغير سواء من ناحية اللفظ أو المعنى.

---

[1]– المرجع نفسه ، ص45.

[2]– أحمد ناهم : المرجع السابق ، ص 50.

-**التناص الامتصاصي:** وهو القانون الذي ينطلق أساسا من الإقرار بأهمية النص وقداسته فيتعامل مع النص القديم كحركة ، وتحويل ولا ينفي الأصل بل يسهمان في استمراره كجوهر قابل للتجديد[1]

-**التناص الحوار ي:**" تعد أرقى مستويات التعامل مع النص الغائب حيث يفجر فيه الشاعر مكبوته ويعيد كتابته من جديد وفق كفائته الفنية العالية وهذا النوع من التعامل مع النصوص الغائبة لا يقوم به إلا شاعر مقتدر ذلك لأن التناص الحواري هو أعلى مرحلة من قراءة النص الغائب معتمدا على النقد ، مؤسس على أرضية صلبة تحطم مظاهر الاستلاب مهما كان نوعه وحجمه لا مجال للتقديس ، كل النصوص الغائبة مع الحوار ، فالشاعر لا يتأمل هذا النصروا إنما غيره" .[2]

د – سعيد يقطين :

يعرف "سعيد يقطين" النص بأنه " بنية دلالية تنتجها ذات ضمن بنية نصية منتجة ، وهذه البنية المنتجة نحددها هنا زمانيا بأنها سابقة على النص سواء كان هذا السبق بعيدا أو معاصرا كما أننا نراه بنيويا في إطار النص وعن طريق هذا الاستيعاب يحدث التفاعل النصي بين النص المحلل و البنيات النصية التي يدمجها ذاته كنص بحيث تصبح كجزء منه ومكونا من مكوناته وهو هنا لم يعرف النص فحسب بل أشار إلى علاقة النص بسواه من النصوص وأشار كذلك إلى التفاعل النصي واستعماله بدل التناص لأن التفاعل النصي أشمل من هذا الأخير، يقول أيضا أننا نستعمل التفاعل النصي مرادفا لما شاع تحت مفهوم التناصintertextualitè أو transtextualitè كما استعملها جينيت بالأخص .[3]

ويقترح "سعيد يقطين" تسميات عدة يشتقها من النص والتناص مثل التفاعل النصي ، التناص الداخلي ، والخارجي ... ويحدد نوعين من التناص: عام وخاص .

---

[1]– محمد بنيس : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، دار العودة ، بيروت ،ط 1، 1979،ص 253.

[2]– جمال مباركي : المرجع السابق ، ص159.

[3]– سعيد يقطين : المرجع السابق ،ص92،98.

التناص العام : (علاقة نص الكاتب بنصوص غيره من الكتاب) ، التناص الخاص : (علاقة نصوص الكاتب بعضها ببعض).[1]

مما سبق يتضح لنا أن التناص ظاهرة لغوية متشابكة يصعب في الكثير من الأحيان ضبطها لذلك وجب على القارئ بذل الوسع للقدرة على الترجيح.

[1]– أحمد ناهم : المرجع السابق ، ص 45–46

المبحث الثالث : نظريــة التنــاص

1- مظاهر التناص :

التناص هو تفاعل نصوص حاضرة مع نصوص غائبة وله عدة مظاهر نذكر منها ما يلي :

أ - **النص الغائب** : هو نص سابق يذوب في نص حاضر ويتفاعل معه فقد ذكر صبري أنه قبل إطلاعه على كتاب فن الشعر لأرسطو كانت له معرفة سابقة لكتب نقدية قديمة وحديثة تناولت فن الشعر دراسة وتحليلا وعند قراءته لكتاب أرسطو لم يجد فيه شيء جديد يلفت انتباهه لان معظم أفكار الكاتب سبق أن تعرف عليها وقد اندهش حين عرف أن كتاب أرسطو كان بمثابة النص الغائب بالنسبة للكثير من الأعمال التي اطلع عليها وقراها في الكتب النقدية والنص الذي ذاب في معظم ما قرأ من أعمال نقدية وأصبح مستحيل فصله عنها ، لأن أحكامه صارت نوع من البديهيات .[1]

ب - **السياق** : إن المعرفة بالسياق شرط أساسي للقراءة الصحيحة التي يتمظهر من خلالها " التناص " للقارئ ، ولا تكون هذه القراءة كذلك ، إلا إذا كانت منطلقة منه ، لأن النص عبارة عن توليد سياقي ينشأ من عملية الاقتباس الدائم من المستودع اللغوي ، وهذا السياق قد يكون عالم الأساطير ، أو حضارة ، أو تاريخيا ، أو خلقيا نصية .. وهو ما يمكن تسميته بالمرجعية التي تفرض وجودها داخل النص ، والتي تمثل (السياق الذهني) بالنسبة للقارئ، أي المخزون النفسي لتاريخ سياقات الكلمة.[2]

جـ - **المتلقي** : يعد المتلقي عنصرا هاما في معادلة الفهم والكشف عن التناص ، وذلك بالاعتماد على ذاكرته أو بناءً على ما يتضمنه النص من اقتباسات مندمجة في متنه من شواهد نصية مدمجة في النص الحاضر على شكل تضمين، حيث يقتطع الشاعر بيتا أو

---

[1]- صبري حافظ :التناص وا رشادات العمل الأدبي ، عيون المقالات ،عدد 02، الدار البيضاء، (د.ط) ،1956، ص 79.

[2]- جمال مباركي : المرجع السابق ، ص 151.

شطرا من بيت أو حكمة أو مـَثلا ويوظفه داخل خطابه أو على شكل تلميح أو إشارة أو إحالة إلى نصوص أخرى سابقة أو متزامنة.[1]

د –شهـادة المبدع :يمكن للتناص أن يتمظهر بناءً على شهادة الشاعر حيث يصرح بمرجعيته الفكرية أو الإنشائية فيعلن عن النصوص والثقافات والتيارات التي أخذ منها المبدع ، والذي له رؤى فكرية للحياة ومع هذا يبقى النص المقروء يجمع بين عدة نصوص لا نهائية يستمدها من هذه الثقافة المنتمي إليها كما تقول " جوليا كريستيفا ": كل نص هو امتصاص أو تحويل لوفرة من النصوص الأخرى .[2]

2– أنـواع التنـاص:

لقد قسم النقاد المعاصرون التناص إلى أنواع نذكر منها مايلي :

أ – التناص الخارجي: هناك مرجعيات كثيرة ومتنوعة تتكئ عليها النصوص الشعرية التي ندرسها منها: المرجعية الدينية والأدبية والإيديولوجية والشعبية والتاريخية وغيرها والنصوص الشعرية غالبا ما تستغل هذه المرجعيات في تكوينها البنائي والمضموني ويسمى هذا التناص بالتناص الخارجي [3].

في هذه الحالة يكون التقاء وتقاطع النص الحاضر مع نصوص أخرى متزامنة معه بمجال مفتوح على الأجناس الأدبية المختلفة فيحدث تطوير و إغناء هذه النصوص .

بـ –التناص الداخلي : وفيه يعيد المبدع إنتاجه " فقد يمتص آثاره السابقة أو يحاورها أو يتجاوزها ، فنصوصه تفسر بعضها بعضا .[4]

---

[1]– المرجع نفسه ، ص 151.

[2]– محمد بنيس : المرجع السابق ، ص261.

[3]– احمد ناهم : المرجع السابق ، ص 66.

[4]– محمد مفتاح المرجع السابق ، ص 125.

حيث يعيد المبدع ما أنتجه في ما سبق ، لكنه يعيده بشكل وطريقة جديدة مبنية على التفاعل والتحاور متجاوزا النمطية الفارطة .

3 – مصادر التناص :

التناص ظاهرة لا يخلو منها أي جنس أدبي قديم أو حديث ، فهو عنصر قار في كل النصوص وسنتطرق الى بعض منها :

أ – التناص الدينـــي :

يعدّ الموروث الديني مصدر هام من المصادر التي وظفها الشعراء المعاصرون لبث الحياة في تجاربهم الشعرية عبر إصباغ صفة الديمومة والبقاء عليها وإكسابها عنفوانا وفاعلية ، وذلك لما يشكله الدين من حضور قوي ومؤثر في نفوس معظم البشر ، ولما يشتمله الدين من إبداع فني يفتقده الشعراء في مصادر أخرى ، فالمرجعيات الدينية " من أبرز الروافد التي تغذي البنية الوجدانية والفضاء الدلالي في التجربة الشعرية ... لما تحويه من عقائد تجمع النص الديني المستدعي ، والنص الحاضر في سياق دلالي.[1]

– مع القــرآن الكريــم :

ويعتبر القرآن الكريم بسحر بيانه وموضوعاته وفي قصصه وشخصياته ، هو المصدر الأساسي الذي عاد إليه الشعراء يستلهمونه ويستمدون منه ما يتوقون إليه في أشعارهم ، ولا عجب في ذلك لأنه الكتاب الذي ظل على مر الزمان والمكان الغني بالأسرار ويشمل جوانب الحياة ، فيه الكثير مما يبحث منه البشر من قضايا ...فهو المصدر الذي لا ينضب إذ وجوده المعين الأول والواسع والخصب للعودة إليه والإفادة منه.[2]

---

[1]– عمر عتيق : التناص الديني في شعر يوسف الخطيب : ، مجلة مجمع القاسمي للغة العربية ، العدد 6، 2012 ،ص 200-201.

[2]ظاهر محمد الزواهرة : المرجع السابق ،ص 85.

والقرآن الكريم هو النموذج ، وهو سبب القوة والمنعة للأمة ، ومن ثم فإن الشاعر العربي تلقى القرآن بسحره ودهشته وهو النموذج الذي انصرف لمحاكاته فعاد الشعراء العرب المعاصرون إلى القرآن الكريم ينهلون منه ويقتبسون آياته.[1]

إنّ القرآن الكريم هو مصدر اللإلهام الشعري على مستوى الدلالة والرؤية و"ذلك أن استحضار الخطاب الديني في الخطاب الشعري المعاصر يعني إعطاء مصداقية وتميز لدلالات النصوص الشعريةنطلاقا من مصداقية الخطاب القرآني وقداسته وا إعجازه "[2]

لقد تأثر الشعراء العرب قديما وحديثا بالقرآن الكريم لأنه كتاب الله تعالى المنزه عن كل خطأ وزيف وهو المعجز ببيانه ،فكان هذا التأثير واضحا جليا في توظيفهم إياه في أشعارهم.

-مع الحديث النبوي الشريــف :

لقد تأثر الشعراء بالحديث النبوي الشريف فهو المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم وقد جاء مفسرا لكثير مما جاء في القرآن ، ولم يكن صاحبه ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى ، لذلك استلهم الشعراء كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة لفظا ومعنا ومضمونا، ففي أشعارهم الكثير مما جاء به النبي محمد- صلى الله عليه وسلم – وذلك لمنزلة الحديث الشريف ولمنزلة صاحبه عند المسلمين مما جعلهم يقتدون بهديّه ويسيرون على خطاه فكان الحديث حقلا واسعا من حقول اتكائهم على ما فيه من المعاني والأفكار.[3]

لقد أدرك الشعراء أهمية الحديث النبوي فنيا وفكريا فراحوا يستحضرونه في نصوصهم وينهلون من معينه ويعدون كتابته وفق ما يتماشى مع تجر بة كل شاعر منهم .[4]

---

[1]- المرجع نفسه ، ص87.

[2]- عزة جربوع : التناصمع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر ، مجلة فكر وا إبداع ، العدد 13، 2002 .

[3]- ظاهر محمد الزواهرة : المرجع السابق ، ص 131.

[4]- جمال مباركي : المرجع السابق ، ص 199.

إن الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني للوحي بعد القرآن الكريم وقد تأثر به الشعراء وتفاوتوا في استحضار ه في نصوصهم .

ب – التنـــاص الشعـري :

يقصد به التعالق الذي يحدث بين النص الأدبي وبين مجموعة من النصوص التراثية الشعرية والنثرية ، وتدخل في التفاعلات النصية الأدبية كل البنيات المتصلة بالأدب في جانبه الشعري أو النثري ، فالموروث الأدبي يعتبر من أهم المرجعيات التراثية وأقربها على نفوس شعرائنا المعاصرين كما أن الشخصيات الشعرية هي من ألصق الشخصيات بوجدان الشعراء لأنها هي التي عانت التجربة الشعرية فاستطاعت بذلك التعبير عن تجارب الشعراء في كل عصر "فلا غرابة إذن أن تكون شخصيات الشعراء من أكثر الشخصيات شيوعا في شعرنا المعاصر وفي ذات الوقت من أكثرها طو عية للشاعر المعاصر وقدرته على استيعاب أبعاد تجربته المختلفة .[1]

لقد تأثر الشعراء بالموروث الشعبي من أغاني وحكايات وأمثال وسيّر وغيرها جعلهم يستفيدون منه ، ليتجلى ذلك في أشعارهم فيزيدها قوة ومتانة .

جـ– التنـــاص مع التـــراث:

إن الشاعر الجزائري المعاصر لم ينطلق من فراغ في كتابة النص ، بل يكتب ووراءه تراث ضخم يأخذ منه ما يشاء، مما يناسب رؤاه الفنية على غرار الشاعر العربي المعاصر عموما.[2]

التراث هو ماتركه الأقدمون لنا من فكر (...) فإن التراث يعني " هو جماع التاريخ المادي والمعنوي لأمة منذ أقدم العصور إلى الآن .[1]

---

[1]– علي عشري زايد : المرجع نفسه ، ص55.

[2] – جمال مباركي : المرجع السابق ، ص 231.

والتراث يعني مجموع الإنتاج الفكري والحضاري والتاريخي الذي ورثته الانسانية جمعاء والذي يمثل في الآثار المكتوبة سواء كانت أثرية ، أي حجرية ، أو كانت على شكل كتب أو ملفات (...) وبمعنى آخر ما يتعلق بتراث الأمة من المخطوطات ومن اللوائح الفنية التي تبرز حضارة الأمة وتدل على تراثها الماضي .[2]

د – التناص الأسطوري

سنحاول في هذه الجزئية التطرق إلى بعض التعريفات للأسطورة نذكر منها :

تعرف الأسطورة على أنها محاولة متبصرة وخيالية لتفسير الظواهر الحقيقية أو المفترضة التي تثير واضع الأسطورة ...وقد أشار إحسان عباس إلى أن من أبرز دخول الأسطورة إلى الشعر العربي الحديث محاكاة الشعر الغربي الذي اتخذ الأسطورة منذ القديم سداه ولحمته ...ومن الناحية الفنية فالأسطورة تسعف الشاعر في الربط بين أحلام العقل الباطن ونشاط العقل الظاهر، والربط بين الماضي والحاضر والتوحيد بين التجربة الذاتية والتجربة الجماعية،وتنقذ القصيدة من الغائية المحض وتساعد على التنويع في أشكال التركيب والبناء [3]

تتعلق الأسطورة بالقصص الخرافية أو الشخصيات الخيالية التي تكونت في فكر الإنسان القديم تفسيرا منه لحقيقة الكون،والشعر يشبه الأسطورة لأنه أخذ عنها... تقنيات استخدام الظلال السحرية للكلمات في تناوبها بين التصريح والتلميح وبين الدلالة والإشارة ...

---

[1] – سلامة سعيد : التناص التراثي الرواية الجزائرية أنموذجا ، دار عالم الكتب الحديث ، أربد – الأردن ، ط 1 ، ص 2010 ، ص 13.

[2] – المرجع نفسه : ص 14.

[3]– زهرة توفيق أبو كشك : الاتجاه الأسطوري في الدراسات النقدية للشعر العربي الحديث ،رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراء في الأدب والنقد ، إشراف ، د سامح رواشدة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مؤتة 2006، ص 7–8.

بمعنى آخر أخذ الشعر عن الأسطورة كيف يمكن للغة السحرية أن تقول دون أن تقول ، وأن تشبعك بالمعنى دون أن تقدم معنى محددا ودقيقا.[1]

إن مفهوم الأسطورة يشمل كل ما ليس واقعيا أي كل ما لايصدقه العقل فكل عنصر تعتمد على أسس غير علمية ، لا يكون ثمة شك في أنها نتاج لخيال أسطوري.[2]

الأسطورة هي الجزء الناطق من الشعائر البدائية الذي نماه الخيال الإنساني، ثم استعمله الآداب العالمية ، ويرى الناقد خلدون شمعة أن الأسطورة قصة متداولة أو خرافية تتعلق بكائن خارق أو حادثة غير عادية ، وتقدم تفسير للظاهرة الدينية أو لما فوق الطبيعة كالآلهة والأبطال ، فهي قصة مخترعة أو ملفقة ، وأما في المفهوم الفلسفي فأنها الصورة التي تمثل أحد مذاهب الفلسفة بأسلوب رمزي يجمع بين الحقيقة والوهم ،أما في ناحية الأدب فأنها مرتبطة إرتباطا وثيقا به لأنها تقدم أفكارا جديدة تقوم على الخيال الخلاق المبدع بتصرف .[3]

إن اطلاع شعراء العرب القدامى والمعاصرون على الأساطير في الحضارات القديمة تمكنوا من أن يوظفوها في نصوصهم الشعرية مما يزيدها واسعة الأفق حافلة بالدلالات تمكن القارئ من التصور والتعايش معها .

---

[1]– حسن مزدور : توظيف المضمون الأسطوري في الشعر الجزائري ، مجلة التبيين ، الجاحظية ،ع24، ،2005، ص95.

[2]– علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ط1 طرابلس ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، 1978،ص 220.

[3]– حصة البادي : التناص في الشعر العربي الحديث ، (البرغوثي نموذجا)، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1، ، 2009 ، ص54.

خلاصـــة :

من كل ما تم طرحه يمكن القول أن التناص هو تقنية حداثية لظاهرة قديمة فهو لايعني اعتماده كليا على نصوص سابقة ، أو يحاكيها تماما بل بالإمكان أن يكون هذا الأخير مخالفا أو معارضا أو قد يكون منافسا لنصوص سابقة فالنص الجديد يصبح منطلقا وأساسا لنصوص أخرى مستقبلا فهو إذن تعالق وتداخل وتفاعل ضمن آليات وتقنيات تنتج عنه عمليتي التأثر والتأثيرسواء بشكل جلي ّ أو خفيا .

الفصل الثاني

تجليات التناص في شعر عثمان لوصيف

- التناص الديني
- التناص الشعري
- التناص التراثي
- التناص الأسطوري

نحاول في هذا الفصل التطرق إلى أهم السمات الدلالية في شعرية عثمان لوصيف من خلال ديوانه المذكور " قالت الوردة " انطلاقا من بحث أشكال التناصات ومدلولاتها في شعر الشاعروا ٍعطائها أبعادها المختلفة الدينية والأدبية والأسطورية والتراثية

1-التناص الديني :

ونعني بالتناص الديني تداخل نصوص دينية مختارة عن طريق الاقتباس أو التضمين من القرآن الكريم أو من الحديث النبوي الشريف أو مع النص الأصلي للشعر بحيث تنسجم هذه النصوص مع السياق الشعري وتؤدي غرضا فكريا أو فنيا .[1]

أ- التناص مع القرآن الكريم :

تنوع متن الشعر العربي المعاصر من خلال ما ولج إليه من روافد في مجالات مختلفة ومتنوعة كالأسطورة ، التراث وغيرهما " وكان القرآن الكريم أول النصوص التي استأثرت بعناية الشاعر المعاصر باعتباره النص الذي يحمل من أبعاد اللامحدود للحياة والإنسان". [2]

وقد برز أثر القرآن الكريم في معظم تعابير العرب سواء كان نثرا أو شعرا لينبع منه تشكيلا فنيا رائعا " ولقد أعطى القرآن الكريم الحرية في التأمل الجمالي والكتابة ودعا إلى الاغتراف من منبعه العذب ، إلا أن جل الشعراء العرب القدامى لم يدركوا هذه الناحية التي تؤدي إلى الخلق والإبداع ."[3]

وموقف الشاعرعثمان لوصيف من القرآن الكريم موقف المعظّم لمعانيه المُعجب بأساليبه المتمسك بلغته ، فقد حفظه وهو في المرحلة الإعدادية وقد سُئل – ذات مرة – عن الكتب القريبة إلى فكره ونفسه فأجاب في هذا السياق قائلا : "أنا متعدد القراءات ومتجدّد دوما وبالتالي لا أستطيع أن أقف عند كتاب معين ، ربما الكتاب الوحيد الذي يمكنني أن أذكره في هذا السياق هو القرآن الكريم".[4]

---

[1] - أحمد الزعبي ، التناص نظريا وتطبيقيا ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ،ط2، 2000،ص37.

[2] - مصطفى السعدني ، البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي ، دار المعارف ، القاهرة ،ص 237.

[3] - جمال مباركي : المرجع السابق ،ص 167.

[4] - لزهر فارس : المرجع السابق ، 95-96.

إن تأثر الشاعر بالقرآن الكريم جعله يستقي منه ، فيبدع في توظيفه بأسلوب فني وجمالي عبر مستويات تناصية مختلفة وهذا ما بدا جليا في ديوانه " قالت الوردة " التي يقول في مطلعه :

صيحة الأمر دو ّت

فاستجاب السكون العميق!وكن

وحذ ّت نواقيسه فاختلج ْ

ولهـاً ..

واشرأب ّ الظلام وامتزج ْ

بالرؤى والمرايا التي لألأت

أنجم ً ا وهزج ْ .[1]

نجد أن الله تعالى ذكر لفظ" صيحة" في سور متعددة ندرج منها قوله : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾.[2]

ونفس الشيئ بالنسبة للفظة " كن " قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾.[3] وظف عثمان لوصيف ألفاظ القرآن الكريم وحاورها بفنية ملفتة زادت نصه جمالاوتأثير ا في المتلقي على ما يبدوا أن الشاعر في حالة النفسية جيدة جعلته يتدبر في الطبيعة و يستمتع بجمالها فيهتف بها قائلا :

نهر الرؤى يندلق

عالم قزحي ّ

---

[1] - عثمان لوصيف : ديوان : قالت الوردة ، دار هومه للطباعة والنشر،الجزائر ط1، 2000، ص 5.
[2] - سورة يس : الآية 53.
[3] - سورة يس : الآية 82.

هزيج

أريج ..شفق ْ

زغب ذهبي وأجنحة تصطفق ْ

زقزقات

خرير

بساتين معروشة وحبق ْ .[1]

قدرة الشاعر على الإبداع جعلته يتشرب مدلول الآية الكريمة ويستفيد منها في تضمينها لبناء نصه الشعري .

كما نجده يستحضر النص القرآني ويوظفهتوظيفا دلاليا وا إشاريا حيث يقول :

وبلا جسد

رحت أجتاح طوفانها

كان في باطني

يتشكل كون جديد

وفوق جبيني تسيل الدهور ْ .[2]

استمد الشاعر معناها من قول الله تعالى﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾.[3]

---

[1] - عثمان لوصيف : الديوان، ص 20-21.
[2] - المصدر نفسه ، ص10.
[3] - سورة العنكبوت :الآية 14-15.

فرغبة التغيير طافحة على نفسية عثمان لوصيف فهو يبحث عن عالم الطهارة والنقاء بعيدا عن عالم القذارة والمادة ، ودعوته لتخليص البشرية من الفساد ، فالشاعر استلهم النص الغائب ووظفه توظيفا إشاريا دلاليا لقصة سيدنا نوح عليه السلام والذي يمثل رمز النجاة وخلاص البشرية من الكفر والزيف .

يقول في موضع آخر :

يا .. يا دمي

أجّج العشق نارا ونور

واتل للعالمين كتابك

كي تستفيق العقول

وتزهر بالمجد هذي السطور .[1]

والملاحظ أن عثمان لوصيف امتص الآية الكريمة في المعنى قال الله تعالى : ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾.[2] وقال الله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝ ﴾.[3]

وقال أيضا : ﴿ إِن هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ .[4] فمهمّة الشاعر هي النّصح والإرشاد والنهوض بالأمة نحو السّمو والكمال فهو ينادي العقول الغارقة في متاهات الظّلم والفساد أن تستفيق وتزرع الأمل والاطمئنان في الكون ، حيث أعاد الشاعر كتابة النص وفق متطلبات تجربته .

---

[1] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص11.
[2] - سورة المائدة : الآية27 .
[3] - سورة الزمر :الآية 1.
[4] - سورة ص: الآية 87.

عثمان يحلم بعالم آخر عالم الطهارة والنقاء وهذا العالم يصنعه في مخيلته حيث يرى الجمال الروحي ، ويتضح ذلك من خلال قوله :

السماوات تغسلني بالنبيذ
وتلبسني سندسا ويقق ْ
هاهنا نهـ َـر يتلاغى
هناك زهـ َـر يتناغى
هنا سدرة ونبق ْ .[1]

ويتناص الشاعر مع القرآن الكريم في قول الله تعالى : ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴾.[2] وفي غمار البحث عن بديل يخ َـلّص الشاعر من هموم يومه، يتقمص شخصية الرسول صلى الله عيه وسلم في قصة الإسراء والمعراج ، التي تبتدئ بانفتاح السماوات السبع وصولا إلى سدرة المنتهى، فالشاعر استلهم النص القرآني بطريقة تجعل المتلقي يستدعي التأويل مما جعل قصيدته ثرية تزخر بالألفاظ والمعاني القرآنية .

ونجد التناص في قوله :

أيها التائه
المتعثّـر في فجوات النفق ْ
أيها المقتفي أثري
في المهامه
أو في فجاج الغسق ْ
إن أضعت الخرائط

[1] عثمان لوصيف : الديوان ،ص 22.
[2] - سورة النجم : الآيات 14،16.

أو غشيتك الدياجي

وسدّت أمامك كل الطرق ْ

!قلْ أعوذ بربّ الفلق ْ "

حيث ضمن الشاعر المقطع السابع من سورة الفلق من قول الله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾.[2]أعظم شيئ يشعر ه به الإنسان بعد أن تضيق عليه الدنيا وتنزل به المصائب أن يَ لوح له نور يضيئ له الدرب ويجدد فيه الأمل، لينظر إلى الدنيا بعين الرضا، وهذا ما دعى إليه عثمان لوصيف فقد تعامل مع النص القرآني بطريقة فنية رائعة من خلال امتصاصه للقرآن لفظا ومعنى مما أضفى حيوية على مدونته فقال :

! يا قارئي ..آه

لا تقل عبث كل هذا السفر ْ

عدت مكتنزا بالمعاني

ومحتشدا باللظى والمطر ْ

المرايا ترفرف حولي

البروق تطو ّقني

وتفيض على مقلتي ّ ألوف الصور ْ .[3]

استلهم الشاعر لفظة " لظى " من قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.[1] فهي دلالة تحمل قيمة قرآنية لجأ إليها الشاعر للتعبير عن العزيمة والقوة ، يبدو

[1] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 23.
[2] - سورة الفلق :الآيات 1،3.
[3] - عثمان لوصيف : الديوان، ص 25.

أن الشاعر دائم السفرات الروحية ففي كل سفر إلا ويأتي بما فيه نفع له ولغيره ففي كل رحلة يرتاد من خلالها المجاهيل الكونية باحثا عما يجمع ويوحد البشرية من هذا التمزق الروحي .

ومن التناص عنده كذلك نجده يقول :

تسائل عنّي
ونورك منّي
فخذ من حُمّاي كأسا إذن
وراقب نخب شعري وصوفيتي
ثم ردّد على مسمع الكائنات:
انتشيت .انتشيتُ !.[2]

يستحضر عثمان لوصيف ألفاظا ومعاني من سورة الإنسان قال الله تعالى: ﴿ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً ﴾.[3] فالشاعر يعبر عن سعادته ، فالسكر يشعره بالنشوة، وتصفى روحه لتطفو على كل ما هو محسوس لتعبر عن الحب الإلهي

ومن التناص اللفظي عند الشاعر نجد :

فامسحي عن جفوني اللظى
واغسلي شفتي بالقبلْ
ثم قولي : سلاما .. سلاما .[4]

فهذه إحالة إلى قصة سيدنابراهيم عليه السلام عندما ألقي به في النّار، لكنها بقدرة الواحد الأحد أصبحت بردا وسلاما عليه، قال الله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.[5] وظف الشاعر هذا التناص على نحو خفي حيث تعامل مع النص الغائب

---

[1] - سورة المعارج : الآية 15.
[2] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 31.
[3] - سورة الإنسان : الآية 17.
[4] عثمان لوصيف : الديوان، ص34.
[5] - سورة الأنبياء: الآية 69.

بطريقة فنية تخدم تجربته الشعريةفرغم المخاطر التي واجهته إلا أن ّ حبه لأرضه لم ِلتصاقه بهاذأ ساه كل هذه الهموم ، فبإمكان فكرة واحدة صحيحة أن تغير واقعلمرير ا يشوبه الفساد والظلم .

ويستمر الشاعر في تناصه مع القرآن الكريم فيقول :

أين أمي التي كنت أنهل

من نبعها المستطاب ْ

كلما غشيتني الغواشي

ورانُ[1] على ناظري ّ اكتئاب ْ ؟.

وظف عثمان لوصيف التناص الديني لفظة "ران " قال الله تعالى : ﴿ كَلَّاۖ بَلۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾.[2] فتأتي بمعنى التشاؤم فالشاعر أعطى صورة موحية بالقلق والشعور بالاغتراب والوحدة بحكم ضياع الوطن فهو يبحث عن وطن يرتاح فيهويصب ّ فيه خواطره ، حيث أعاد الشاعر كتابة النص الغائب بطريقة استنطق مكنوناته وعبر بها عن حزنه واكتئابه لكنه رغم ذلك يبقى متمسك بالأصل ومتطلع إلى حياة أفضل حيث يقول :

آه ..

يا!زهرتي في اليباب ْ

لا تقولي: الحيلةقراب ْ[3].

ولفظة "سراب" اقتبسها الشاعر من كتاب الله ووظفها في نصه الحاضر فهي مأخوذة من قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا

---

[1] : عثمان لوصيف : الديوان ، ص64.
[2] - سورة المطففين : الآية 14.
[3] - عثمان لوصيف : الديوان، ص 68-69.

جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾.[1] فالشاعر متشبع بثقافة دينية تجعله يستعمل ألفاظ قرآنية في مدونته في مواضع مختلفة .

يبدوا أن الحالة النفسية لعثمان لوصيف بين مدّ وجزر لكنه لا ييأس أبدا فالتفائل يعود إليه ليجسده في هذا المقطع فيقول :

هاهي الشمس تشرق

عذراء

جذلى

تمزّق عنها الحجاب

وتغمغم فوق السهول

وفوق الهضاب

هاهي الفُلْكُ راقصة

تمخر البحر رَهْواً وتغشى العُباب .[2]

نلاحظ أنّ الشاعر قد تناص مع قول الله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ﴾.[3]و اقتبس كذلك قول الله تعالى: ﴿ وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ﴾.[4]

فعثمان لوصيف هنا وبطريقة إبداعية عجيبة يصور لنا قصة سيدنا نوح عليه السلام عندما أتمَّ نعُ السفينة وركبها المؤمنون بعدما جرت بهم في البحر، وفار التنور وغطّ الماء

---

[1] - سورة النور: الآية 39.
[2] - عثمان لوصيف : الديوان، ص 68.
[3] - سورة الأعراف : الآية 64.
[4] - سورة الدخان :الآية 24.

الأرض وفي خضم ذلك الهول وتلك الفاجعة فجأة يسكن كل شيئ، وتمتص الأرض الماء وترسو سفينة نوح ومن عليها وتشرق الشمس صافية ويفرح المؤمنون بنصر الله .

ويرى الشاعر أن الأمر لا يتسع إلا إذا ضاق ولا يبهره النور الساطع إلا بعد الظلام الدامس فلا مأساة تستحق الحزن منّا، فالمحبة كافية بأن تمسح دموع الحزن فنجده يقول :

وردة تتفتّقْ

في مهبّ المجاعات

تهفو .وتعشقْ

فإذا الليل أظلم تغشى الدياجير

تجني المرايا رؤى وتزقزقْ

بالمحبة يا فقراءُ .[1]

الشاعر أعاد كتابة النص القرآني ووظفه بطريقة فنية وجمالية من خلال امتصاصه للآية الكريمة قال الله تعالى: ﴿ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾.[2]

أبدى عثمان لوصيف إعجابه بالأرض وميزها عن سائر الكواكب ، لأن الله حباها بالحياة أن أكرمها بالماء ليعيش الإنسان فيهافهي وردة أشبه بالجنّة وما فيها من سلسبيل وكوثر، إذ قال:

أنت سوسنة الله

مسبلة السبلاتِ

ومبتلّة البتلاتِ

تُغمّس بالسلسبيل وتُسقى من الكوثرِ .[3]

فلفظة " السلسبيل " مقتبسة من قول الله تعالى : ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾.[4] ولفظة " الكوثر" ضمنها من سورة الكوثر قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾.[5] "فالسلسبيل"

---

[1] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص74 .
[2] - سورة الليل : الآية 2.
[3] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص84-85 .
[4] - سورة الإنسان : الآية 18 .
[5] - سورة الكوثر : الآية 1.

عين في الجنة أما"الكوثر" فهو نهرفي الجنّة أُعطي للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يظمأ المرتوي بعده أبدا،فقد وظف عثمان لوصيف القرآن الكريم توظيفا إيجابيا متأثرا بألفاظه ومعانيه وصوره وتراكيبه واعتبره المرجع الأساسي الذي ينهل منه.

ب – التناص مع الحديث النبوي الشريف :

هو كل ماورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير ، أو صفة خَلقية أو خُلقية ، ويُعد المصدر الثاني من مصادر التشريع، فكما تأثر المسلمون بالقرآن الكريم وظهر في كلامهم وأشعارهم تأثروا كذلك بالحديث النبوي الشريف وزاد نصوصهم جمالا وأناقة وإبداعا.

يقول عثمان لوصيف :

آه يا وردة السهو

غني لمعجزة الخلق

وابتهجي

ثم صوغي نشيدا تردده الكائنات.[1]

هذا ما يميز الشاعر المتصوف فهو يستمد معنى الحديث النبوي فيحدث عليه تغيير في المبنى دون المعنى حيث قال صلى الله عليه وسلم : «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي».[2] ،أطلق الشاعر لفظ الوردة لرقتها وجمالها وتأثيرها النفسي في متأملها ويقصد بها الروح الجميلة فيستنطقها لتغني لمعجزة الخلق لان غضب الله تفوقه رحمته وقدرته سبحانه

ويستمر في تحاوره مع الحديث النبوي بأسلوب صوفي بتماوج فني متناسق تعترية لمسة من الحزن فيقول :

---

[1] - عثمان لوصيف : المصدر الديوان، ص7-8

[2] - رواه البخاري : صحيح البخاري ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في قول الله تعالى ، حديث رقم 3194 ، دار الرشيد للكتاب ، باب الوادي الجزائر،2003 ، ص 672.

اسند النار للنار

والجرح للجرح .[1]

وهذا يحيلنا إلى النص الحديثي عنعبد الله بن عبّاس قالخَسَفَتْ الشَّمْسُ فَصَلَّى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قِيلَ: النَّارَ فَأَرَمَ كَمَا يَنْظُرُ قَطُّ أَفْظَعَ »[2].

فالشاعر هنا وكأنه يتعذب من مشاق الحياة وضيقها فيرفع شكواه إلى الله تعالى ويطلق العنان لروحه للتأمل في قدرته وإبداعه ،ويتوق إلى ملاحظة وملاحقة خفايا الأشياء والتعرف عليها فهو المتصوف الدائم التسائل خائف من كل ما يحيط به على وجه هذه المعمورة ومع كل هذا نلمح فيه حبا صادقا نحو وطنه فنجده يقول :

وهي الأرض بالمعجزات تضجّ

هنا أبحر تتغاوى

هنا شجر وظلالْ

وينابيع فوّارة وغلالْ

وهناك فضاء يشفّ

فراش يرفّ

هناك قطا وغزالْ[3].

الشجرة : عند الصوفية هي "الإنسان الكامل مدبِّر هيكل الجسم الكلي ، فإنه جامع الحقيقة منتشرة الدقائق إلى كل شيئ ، فهو شجرة وسطية لا شرقية وجنوبية ولا غربية إمكانية ، بل بين الأمرين ، أصلها ثابت في الأرض السفلى وفروعها في السماوات العلى ، أبعاضها

---

[1] - عثمان لوصيف: الديوان، ص14.

[2] - رواه البخاري : كتاب الصلاة ، باب من صلى وقدامه تنور أو نار أو شيئ مما يعبد فأراد به الله تعالى ، حديث رقم 431، ص 104.

[3] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 38 -39.

الجسمية عروقها وحقائقها الروحانية فروعها ، والتجلي الذاتي المخصوص بأحدية جمع حقيقتها فيها بسر ّ .[1]

والتناص هنا خفي لم يصرح به الشاعر إنّما دلّ عليه في قوله صلّى اللّه عليه وسلّم : «إنّ الشديد الرّاكب الجواد المضمّر السّريع مائة عام ما يقطعها» .[2]

فالشاعر يتناص مع النص الديني بطريقة تجعل المتلقي يستدعي التأويل مما أعطى جمالا فنيا للقصيدة فنجده هنا في حالة انشراح فهو يعتز بوطنه ، وطن المعجزات بكل ما تحمله هذه الأخيرة من معنى ويعبر عن قدرة الله وإبداعه لهذا الكون ومن حبه له تفرعت عنه محبة كل شيء أودعه الله فيه من بحار وشجر وظلال وفراش وغزال وغيرها

وفي موضع آخر ينسج عثمان لوصيف صورة ناطقة بأسلوب ذو جمال غاية في الدقة ليقول :

نطفة هي ..

جذر البدايات يمتدّ

أسطورة الماء أمشاجه علقه ْ

ثم كان دم

مهجة

مغمغمات.[3]

نلاحظ أن عثمان لوصيف قد تأثر تأثرا واضحا بالحديث النبوي الشريف فهو لم يكتف بالإحالة إليه ، وإنما استنزله في نصه الشعري واستنسخ منه وجوها عديدة للدلالة حيث استوحى المعنى والصورة قال الحديث النبوي صلّى الله عليه وسلّم : «إنّ

---

[1] -السّيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي : التعريفات ، (باب الشين)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2002، ص 128.

[2] - رواه البخاري : كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم 6552، ص 1327.

[3] - عثمان لوصيف : المصدر السابق ، ص40.

وَ جَلَّ وَ كُلَّ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهُ قَالَ: أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ وَ الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ».[1]

تعد ثروة عثمان لوصيف الفكرية مرآة عاكسة لشخصيته ومن أمثلة ذلك قوله:

من صاغ من وجده آه ..

مطرا يتهامى ومن مجده

شجرا يتنامى

ومن حرّك اليرقه ْ

آية تتلألأ في ظلمة الشرنقه ْ

من سقاها الهوى زنجبيلا

وأودع في نبضها الحيّ

أنفاسه العبقه ْ . [2]

أعطى الشاعر المعنى الإنساني للإنسان فوق الأرض ورسم بذلك صورة جميلة معبرة فمَثّل للروح بالنور ومَثّل للجسد بالطين أو الشرنقة التي تحوي هذه الروح ، فالحياة صراع دائم بين خصائص كل منهما فالشاعر امتص النص ووظفه بفنية رائعة ،وهي أن الله جعل كل شيئ قدر وأنه على كل شيئ قدير ،بن مالجكاء قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الْمَوَاشِي، وَ انْقَطَعَتِ السُّبُلُ ، فَادْعُ اللَّهَ فَدَعَا اللَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمُطِرَ النَّاسُ إِلَى جُمُعَةٍ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهَدَّمَتِ، فَادْعُ اللَّهَ فَدَعَا اللَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ ، وَ هَلَكَتِ الْمَوَاشِي،

[1] - رواه البخاري : كتاب الحيض ، باب مخلقة وغير مخلقة ،حديث رقم 318، ص 79.
[2] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 41.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالجِبَالِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ» فَانْجَابَتْ عَنِ المَدِينَةِ انْجِيَابَ الثَّوْبِ».[1]

هنا استطاع الشاعر تضمين شعره من الموروث الديني ليجعله متناسقا والمعنى المراد تبليغه للمتلقي، بكل ما يحمله من ثقل الأثر والفاعلية وصولا للفكرة المنشودة حيث يقول :

أه .. هل كنت جئت هنا لتسيطر!

فتذلّ الضعيف

تريق الدماء

وتفسد ما أبدع الله

يا أيها الآدمي

استعذ بالهوى وتطهّرْ

واعتنق زهرة البرق والأرج المتسعّر

أيها الآدمي تحرّرْ

من عبودية النفس والشهوات.[2]

وهنا أتناص مع الحديث النبوي الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ».[3]حيث أشار الشاعر أن الله خلق الخلْق لعبادته ونشر بينهم التراحم ،ونهاهم عن الفساد في الأرض الناشئ عن مطاوعة النفس، الناجم عن عبودية الشهوات التي توصل إلى الغضب ومنه إلى الفساد ومعصية الله.

فعلو الهمة وارتفاع ومستوى الطموح والتحدي وعدم الاستسلام للمؤثرات الخارجية كوّن الشاعر من القول :

---

[1] - رواه البخاري : الديوان : كتاب الاستسقاء ، باب الدعاء إذا تقطعت السبل من كثرة المطر، الحديث رقم 1017، ص212.

[2] - عثمان لوصيف : المصدر السابق، ص 60-61.

[3] - رواه البخاري: كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب لقول الله تعالى، الحديث رقم 6114 ص 1256.

آه .هو الموت ياربّتي في العذاب!

بيد أني أصرّ على حصّتي

في الحياةِ

وحصّة معبودتي المجتباة

وحصّة كل الذين نجوا

من رياح الدمار

ومن نهشات الذئاب

وسأبقى هنا

سأمسّد هذا الرماد

وأزرع فيه البذور وأدعو السحاب[1]

نلاحظ أن الشاعر يحاور نص الحديث بطريقة غير مباشرة فيقول: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ أَنْ لَا يَدْعُوَ عَلَى أُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَهُمْ بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْ أُمَّتِي بِمَا أَهْلَكْتَ بِهِ الْأُمَمَ قَالَ: نَعَمْ إِنِّي لَنْ أَرُدَّ مَا أَعْطَيْتُكَ فِي أُمَّتِكَ، وَإِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نُخْزِيكَ فِيهِمْ"[2]

نجد أن عثمان لوصيف يشير الضّر الذي أصاب الأمة الجزائرية في العشرية السوداء من فترة التسعينيات ، فيضعها في صورة حزينة يتألم لأجلها ويدعوا كل من نجا منها إلى الصمود وإعادة بناء وتشييد هذا الوطن الغالي بإعانة وتوفيقا من الله تعالى.

[1] - عثمان لوصيف : الديوان ،ص 66 -67.

[2] - رواه البخاري : كتاب الدعوات ، باب الدعاء بالموت والحياة ،حديث الرقم 6351 ص 1295.

2-التناص الشعري :

نعني بالتناص الأدبي تداخل نصوص أدبية مختارة ، قديمة أو حديثة شعرا أو نثرا مع النص المبدع الجديد بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يريد أن يعبر عنها المبدع الجديد .[1]

وتأمل معي عثمان لوصيف إذ يقول :

تتسائل عنّي كيف أتيت

وا إلى أين أمضي

ومن أين جئت

وكيف اهتديت ؟

كائن أزلي أنا.[2]

مما يلاحظ على هذا المقطع أنه تناص اجتراري ، يحاكي فيه شاعرنا لغة إليا أبو ماضي بدقة متناهية ،من حيث قدرته وبراعته على استحضار ألفاظ النص الغائب في قصيدة الطلاسم التي تحمل في طياتها شكوك وتساؤلات عن الجهل بالماضي والحاضر والمستقبل فيقول :

جِئْتُ لاَ أَعْلَمُ مِنْ أَين ،ولَكِني أتَيتُ

ولقدْ أبْصَرْتُ قُدّامِي طَرِيقًا فمشيتُ

وسَأبقى ماشِياً إن شئتُ هذا أم أبيتُ

كَيف جِئتُ ؟ كَيف أبصَرتُ طَرِيقِي؟

لستُ أدرِي

---

[1] - نقلا عن :غانم صالح الحمداني ، التناص في شعر بدر شاكر السياب ، ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ،(ب .ط) ، 2014، ص 39.

[2] - عثمان لوصيف : الديوان ،ص.28

من خلال هذا الطرح يبدوا أن عثمان لوصيف يجيب على تساؤلات إيليا أبو ماضي فيقول كائن أزلي أنا، وتجيبه العابدة الزاهدة رابعة العدوية "عندما سئلت"من أين أنت ؟ فقالت: من العالم الآخر !وا إلى أين تذهبين ؟ فقالت: إلى العالم الآخر ! وماذا تفعلين في هذه الدنيا ؟ فقالت : أعبث بها ، وكيف تعبثين بها ؟ فقالت : آكل خبزها وأعمل عمل الآخرة !.[2]

هي إجابات متقاربة أو متباعدة تحددها قوة الإيمان .

وفي مقطع أخرنجد الشاعر يقدّم الإرشادو النصح بأسلوب راق عجيب إذ يقول :

أيّها الآدميّ الذي يتجبّر ْ

قد سطعت على الملكوت

إلهًا صغيرا

وأورثك الحقُ هذي البسيطة

أنت الخليفة فيها فلا تتنكّر ْ

الأمانات بين يديك

رويدك لا تتماد فتخسر ْ .[3]

وفي هذا نجد تناص امتصاصي مع "أبو القاسم الشابي" في قصيدة أبناء الشيطان يقول فيها:

ونبيلِ وجهتُ في ضياء الفَجر ْ . رِ قلبًا مُدنَّسا شريـــرا

وزعيم أَجَلَّ للنَّاسُ حتّى ظنَّ في نفسه إلهًا صغيرا !.[4]

---

[1] - إليا أبو ماضي : الديوان، قصيدة الطلاسم ، ج1 ، دار العودة ،بيروت (د.ط) (د.ت) ،ص191

[2] - نقلا عن : عبد المنعم الحنفي ، رابعة العدوية إمامة العاشقين والمخزونين ، دار الرشاد ، القاهرة ، ط2 ، 1996.، ص 44.

[3] - عثمان لوصيف : الديوان ،ص 58.

[4] - أبي القاسم الشابي : الديوان ، تقديم وشرح ،احمد عبد الهادي ،قصيدة ،أبناء الشيطان مكتبة الآداب القاهرة ، ط 1، 2007.،ص 253.

يتجلى إبداع الشاعر في خلق وبلورة خطاب بين الروح والجسد ، حيث تذكره بأنه الخليفة في هذه الأرض وأنه هو حامل الرسالة والأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبَ يْ نَ أن يحملنها وأشفقن منها لكن حملتها أيّها الآدمي والآن أنت تتكبر وتتجبر وجعلت من نفسك وكأنك إلهاً فاحذر أن تتبع الشهوات فتخسر الدنيا والآخرة.

وا ٍذا أردنا أن نعيش لحظات مع الصوفية نقرأ قول الشاعر :

عانقت زهرة روحي

ولامست نبض الوميض الإلهي ّ

ثم اعتصرت العناقيد

أترعت كأسي َ خمرا

تشف ّ صفاء.[1]

ويمتص قول" ابن الفارض" كذلك في وصف الخمرة حيث نجده يقول :

يَقُولُنَ لِي يصِفْ ُا فنَكْ وَبِصِفْهَ ا خيَرِ ُ جأَلَ ْعنِدْ ِي وِطَ لَفِهَ ا عِلُ

صفَاء ولا ماء ، ولطف ولا هَ واء وذُ ـوِ ولا نارَ ـور ُوح ولا جِسُ .[2]

لقد جر ّ د ابن الفارض الخمرة الصوفية من كل ما يُ دلي للخمرة الحقيقة بصلة ،فالخمرة الصوفية توصل صاحبها للنشوة القدسية قبل الخلق وبعد الموت ، ويؤمن صاحبها بخلود الروح كما أنها سبب في رؤية الذات الإلهية .

ولا يزال الشاعر في نفس الفكرة ليقول :

شعشعي الكأس واستبشر ِي

أنت ِ من جوهر الحقِّ

من جوهر ِي

[1] - عثمان لوصيف: الديوان، ص 27.
[2] - اشرف الدين عمر بن الفارض : المطبع الادبية ، 1891، ص 78.

آية .صاغك الله من وهَج

وحباك حميمية الأنهرِ .[1]

ويمتص الشاعر قول "عمرو بن كلثوم" في قوله :

لأّهبي بصحنكِ فاصبْحِ ينا ولا تبُقِي خُمور الأندرينا

مشعشعةً كأن الخصَّ فيها إذا ما الماءُ خالَطها سخينا. [2]

إقرأ معي قول الشاعر:

حقب قد خلون

تواريخ ضوئية

وأنا شارد في مهبّ السدمْ

لم يكن في دمْ

كنت طيفا من الكهرباء

ولي قوة الكون إذ يحتدمْ

أي لغز أنا؟.[3]

يمتص عثمان لوصيف" قول لأبي ماضي" :

... ... أنا كالكهرباء ، أرى خفيا ظاهراً

... هو من يسائل نفسه عن نفسه في صبحه ومسائه

والعين سرّ سهادها ورقادها والقلب سرّ قنوطه ورجائه.[4]

---

[1] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 82.

[2] - عمر بن كلثوم : الديوان ، جمعه وحققه وشرحه اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط 1، 1991 ، ص 64.

[3] - عثمان لوصيف: الديوان ، ص 15.

[4] - نقلا عن : سامي الدهان : ديوان أبي ماضي ، دار العودة ، بيروت ، ج1 ، (د .ط .ت) ، ص 47.

كل من عثمان لوصيف أبي ماضي قد حار في كل شيئ ، ولم يقنع بشيئ ولم تصل معرفته لمرتبة اليقين في أية قضية من قضايا الحياة لذلك تراه أبدا معلق الأنفاس مبهورا يسائل ذاته ولامجيب .

ويقول في موطن أخر :

وتمشي معي الريح أنّى مشيتْ

ملك أتبوّأ عرش السماوات

أبسط فوق المجرات مملكتي

وأهندس خارطة الأرض .[1]

ونلحظ اجترار واضح "أمية بن أبي الصلت" يقول :

مَلِكٌ على عرش السماء مهيمنٌ تَعْنُو لِعِزَّتِهِ الوجُوه وتسجدُ .[2]

ويستمر عثمان لوصيف بصورة إبداعية في إدراج التناص فنجده يقول :

أيها الآدمي تذكرْ

نفخة الحقّ فيك

وكيف اصطفاك لتحتضن الأرض

تفرشها أغنيات

وعشقا

وعنبرْ

أيها الآدمي تعطّر

[1] - عثمان لوصيف : الديوان، ص 29.

[2] - أمية بن أبي الصلت ، الديوان ،(جمعه وحققه سميع جميل الحنبلي) ، دار صادر للنشر ، بيروت لبنان ، ط 1، 1998 ، ص 39.

بالهوى

ثم صلّ مع العاشقين وكبّر

فإذا غلبتك الغرائز

فالله أكبر[1]

ومن الشعراء الذين يتناص مع إبداعاتهم شاعرنا، قول "مصطفى الغماري" في قصيدته الدرب لا يجفو صاحبه حين قال :

إني أرى خلف السحاب

البرق يعصف والرعود

!يا ويل من باعوا الشهيد

!وويح من ألفوا القعود

يا جرحنا القدسي ..

لا أمت هوانا ..

لا ارتياب ..

كنا الصلاة ..

! وتصلية كذاب » ضغث« وغيرنا

الله أكبر في الجوانح لا تغيب ، ، ولا تشاب

.[2]» !الشباب « إن يدمنوا دعوى

[1] - عثمان لوصيف :الديولن ، ص61.

[2] - مصطفى الغماري : قصائد مجاهدة : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، (د.ط .ت) ،ص 181.

يعود عثمان لوصيف إلى النصيحة والتذكير مرة أخرى لهذا المخلوق الضعيف ، بأن الروح التي بين جنبيك هي نفخة من الله تعالى لهذا الجسد الذي هو أمانة أَو ْكَلها الله إليك لتصونها وتُخضعها لعبادته وتتمتع بطيبات هذه الدنيا وملذاتها في الحدود التي أمر بها سبحانه ،ويدعوه للصلاة التي هي وسيلة إلى الحب الإلهي وكيف أن الإنسان كلما زاد تقربا من ربه كلما زاد شوقا وعشقا له ويكبّرالله إذا هو ضعف أمام غرائزه ويُكبّر معه مصطفى الغماري ويبيّن أثر التكبير في النفس .

تأمل معي هذا المقطع لعثمان لوصيف إذ يقول :

رويدك لا تتمادى فتخسر !

أنت من جوهر

في السماوات كان تألّق

ثم استويت هنا بشرا

من تراب تكوّر ْ

هي ذي الأرض تدعوك

أن تتلطّف

تزرعها جلجانا وجوهر ْ .[1]

وفي كثير من الأحيان نجد الشاعر يستعير شعر غيره من خلال تأثره به فيدرجه في شعره مما يثير في المتلقي إعجابه بالشاعر لتطلعاته وقدرته على حوار النصوص ،فنجده يجتر شعر" أبي القاسم الشابي " في قصيدة إلى طغاة العالم يقول فيها :

ولَكُوَيلاْ يخْدعَنْكَ الرَّبيعُ وصَحْوُ الفضاءِ وضوءُ الصباحْ

ففي الأُفق الرَّحْبِ هَوْلُ الظَّلاموِقَصفُ الرُّعودِ وعَصفُ الرِّياحْ

حَذارِ فتحتَ الرَّمادِ اللَّهيبُ ومَن يبذُرِ الشَّوكَ يَجْنِي الجراحْ .[1]

[1] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 59.

مما يبدوا أن الشاعر يعاني من متاعب نفسية هذا واضح من خلال التأوه الذي لازم القصيدة من بدايتها فنجده يقول

!ياجسد الطين يا جسدي أه ..

إن سلختك بالأمس عني

وغادرت هذا التراب وهذي الحفر ْ .[2]

ونجده يتناص مع إليا أبو ماضي في قصيدة الطين الذي يقول فيها :

ذَ سِ ي َ الطين ُ ساع َ ةً أَنَّه ُ طين ٌ ح َ قير ٌ فَصال َ تيها و َ ع َ رب َ د

و َ كَسى الخ َ ز ٌّ مجَ ِه ُ فَتَباهى و َ ح َ وى المال َ كيس ُ ه ُ فَتَم َ ر َّ د.[3]

ونجده يتناص كذلك مع "أمية بن الصلت" حيث يقول :

كيف الجحود وا ِذ ّ ما خ ُ لق الفتى من طين صلصال له فَخَّار[4].

يسترسل عثمان باحثا عن عروبته وقوميته التائهة فيقول :

لم أزل في الديار وأنقاضها

أسأل البوم عنك ِ

وأسأل عنك ِ الغراب ْ

أسأل الريح والح ُ فر الموحشات

وأشباح كل الصحاب ْ

---

[1] - أبي القاسم الشابي : الديوان ، (دراسة وتعليق ، أحمد محمد عبد الهادي) مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ،2006،ص 209.

[2] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 26.

[3] - إليا أبو ماضي : الديوان ، قصيدة الطين ، دار العودة ، بيروت ، (د.ط.ت)، ص 316.

[4] - أمية بن أبي الصلت : الديوان، ص 23.

أسأل الصمت والمِزق المهملات

وما جواب

غير رجع الصدى وعواء الكلاب!.[1]

فالشاعر يوظف التناص الامتصاصي مع شعر "المبروك زيد الخير" الذي يقول :

واسألوا الريح وترجيع الصدى ودخان النخلاتللم ُ حرقة .[2]

وهنا يبدوا أن الشاعر قد انتهج نهج الشعراء القدامى في الوقوف على الأطلال والبكاء على الحبيب ومناجاة الديار، وما تثيره في النفس من حزن وتفجع ومرارة ، فاستعمل لفظ البوم والغراب والريح والحفر الموحشات وأشباح الأهالي والتسائل عنها ليعبر من خلالها بسوداوية واغتراب ،على الوضع الذي آل إليه العرب من شتات وتفرقة لكنه رغم ذلك فهو ينادي بإلحاح إلى الرجوع والاعتصام بالوحدة والعروبة، فنلاحظ أن عثمان لوصيف اكتفى بالمعنى اللغوي للفظة الريح ولم يوظف السياق الوارد في النص

ومما قاله في الخمرة :

دعيني أحفُو ّ اي َ

في طينك الأنثوي

واشتم ّ عطرك

حتى الثمالة .[3]

يقول "محمد عثمان عبده البرهاني" :

من يجرع الخمر المعتق سرها حتى الثمالة ما عليه جناح.[1]

---

[1] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 64-6ديوان5.

[2] - المبروك زيد الخير: الديوان، ترانيم الوفاء ، مطبعة السلام، (د .ط)، الأغواط ، الجزائر ، 2000 ، ص 60.

[3] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 33.

فالشاعر أمتص قول "محمد عثمان عبده البرهاني" وكل منهما يدعو إلي التغني بالخمرة التي ترمز إلى الحب والفناء والسمو بالروح بمشاهدة الجمال المطلق وهي الذات الإلهية.

يقول الشاعر :

وأنا الميت ّ الحي ّ

كنت أصوغ السديم نجوما

وأرسل في العتمات البدور ْ .[2]

وهو تناص امتصاصي مع" أبا علي الدقاق" فيقول :

ليس من مات فاستراح بميت إنّما الميت ميت الأحياء.[3]

ونجد له امتصاص آخر مع" الحلاج" فيقول :

أقتلوني يا ثقاتي إن في قتلي حياتي

ومماتي في حياتي وحياتي في مماتي.[4]

وفي مقطع شعري آخر يقول عثمان لوصيف :

أه .. معبودتي

أه .. أنشودتي

شعشعي الكأس واستغفري !. [5]

وهو تناص امتصاصي مع قول "ابن مدين" :

مشعشعة يكسو الوجوه جمالها وفي كل شيئ من لطافتها معني.[1]

---

[1] - نقلا عن : فوزي معمري ، مجلة قراءات ، العدد العاشر ، 2017 ، ص 282.
[2] - عثمان لوصيف : الديوان،ص 11.
[3] - نقلا عن: القشيري عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية،دار أسامة، (د. ط)، 1987،ص 65.
[4] - الحلاج : الديوان ، جمع المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (د.ط.ت)، ص 11.
[5] - عثمان لوصيف: الديوان ، ص 90.

وهي الخمرة الصوفية والأثر الذي تتركه في صاحبها حتى يصل إلى الفناء في الذات الإلهية .

3 – التناص مع التراث :

يمثل التراث حقلا معرفيا خِصبا يحتاج إلى نظر نقدي لاختيار العناصر الحية منه ، والقادرة على الديمومة التي تصلح أن تكون شواهد قادرة على التجديد والتموضع في نصوص جديدة ، وتستعصي على الاستهلاك الآني لما تختزنه من ظلال وثراء يتأبى على الاندثار والزوال فالتراث :"ليس حركة جامدة ولكنه حياة متجددة ، والماضي لا يحيا إلاّ في الحاضر ، وكل قصيدة لا تستطيع أن تمدّ عمرها إلى المستقبل لا تستحق أن تكون تراثا ".[2] وقد كانت لنا وقفة مع كل من :

الحـلاج : إن "الحلاج" كان يؤمن بنظرية وحدة الوجود أو بنظرية الحلول ، وأشعاره تشهد بذلك فهو يقول في خطاب بعض الأحباب :

مُـ زجت روحك في روحي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال

فـإذا مسك شيـئ مسنـي فإذا أنت أنا فـي كلّ حـال.[3]

أو يقول :

كتبت ، ولم أكتب إليك وا ِنما كتبت إلى روحي بغير كتاب ِ

وذلك أَنَّ الروح لا فرق بينها ونيم ُحيِّها بفصل ِخطِاب ِ

فكلّ كتاب صادر منك وارد إليك بما ردّ الجواب جوابـي.[4]

---

[1] - نقلا عن : هدي فاطمة الزهراء ، جمالية الرمز في الشعر الصوفي ،محي الدين بن عربي نموذجا ، رسالة ماجستير ، إشراف د. محمد مرتاض ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ، قسم اللغة العربية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، 2006.، ص 0000

[2] - حبيب بوهرر: تشكيل الموقف النقدي عند أودنيس ونزار قباني ، عالم الكتاب العربي ، عمان ، الأردن ، ط 1، 2008 ، ص 65.

[3] - الحلاج : الديوان، ص 46.

[4] - المصدر نفسه ، ص 15.

ومعنى هذا أنه يقول بالوحدة بين المحب والمحبوب : فهو يجعل الصلة بينه وبين أصفيائه كالصلة بينه وبين واجب الوجود.[1]

يقول عثمان لوصيف متسائلا :

من أنا الآن ؟

أي ألوهية تتجسد ملء خلاياي ؟

أيتوحد بكل الدنى تتوحد ؟

وترفرف بي في أثير

من الجاذبية والوجد؟.[2]

لقد كان تأثر الشاعر بالحلاج في هذا المقطع شديداحيث أحس أن كل خلاياه تذوب في حب الله سبحانه والانقطاع لعبادته .

ابن عربي : نجد أن عثمان لوصيف يمتص قول "ابن عربي" في قصيدته "قف بالمنازل "حيث يقول :

قف بالمنازل : واندب الأطلال وسل الربوع الدارسات سؤالا:

نأيالأحبة؟ أين ست عيسهم هاكي تقطع في اليباب ألالا؟

مثل الحدائق ، في السرات اهم اللآل يعظم فالعيون ألالا

ساروا يريدون العذيب ليشربوا ماء به مثل الحيلقز لالا

فوقفت ألأسعنهم رجع الصبا : هل خيموا أواستظلوا طلالا؟ !.[3]

---

[1] - أنظر : زكي مبارك ، المرجع السابق ، ص 182.

[2] - عثمان لوصيف : الديوان، ص 79.

[3] - محي الدين ابن عربي : ديوان ترجمان الأشواق ، دار المعرفة ، بيوت ، لبنان ، ط 1 ، 2005 ، ص 92-93.

يقول عثمان لوصيف :

لم أزل في الديار وأنقاضها

أسأل البوم عنكِ

وأسأل عنكِ الغرابْ

أسأل الريح والحُفر الموحشات.[1]

نجلّ الامتصاص صيغ فنية ملفتة هذا إن دلّ فإنه يدل على ثقافتة واسعة للرجل.

وفي موضع آخر من القصيدة نجده يقول :

ومن أي بيداء أو عدم

يتدفق هذا الضياء

وتزهر بالصور الفاتنات

وبالسحر هذي السرج ؟

.....

ثم صوغي نشيدا تردده الكائنات

وتشدوا به الريح في شغف وغنج.[2]

فالشاعر يمتص بعض أبيات ابن عربي في قصيدته هل عندكم من فرج ؟

حيث يقول :

يا حسنها من طفلة غرتها تضيئ للطارق مثل السرج

يحسبها ناظرها ظبي نقا من جيدها وحسن ذال الغنج

[1] - عثمان لوصيف :الديوان ، ص65.

[2] - المصدر نفسه ،ص 7-8.

فالشاعر أعاد تشكيل البيت من جديد في قالب فني رائع ولا يقوم بهذا إلا ماهر حذق يعرف إشعاعات الفن ونوافذه ، إن هذا التوظيفلتّراث الذي وظفه شاعرنا ينم على مدى تشبع الشاعر بالتراث الصوفي وأئمته ، حيث يسوق منه ما يشاء .[1]

ملك أتبوأ عرش السموات

أبسط فوق المجرات مملكتي

وأهندس خارطة الأرض

حتى تقول استويت.[2]

ولعله توافق مع السيد أحمد البدوي إذ يقول :

سائر الأرض كلها تحت حكمي وهي عندي كخردل في فلاء

أنا سلطان كـل قطـب كبيـــر وطبـولي تدق فوق السماء

فالشاعر هنا تأثر أيما تأثر بالتراث الصوفي ولا نود أن نبحث في سائر القصيدة فيطول بنا الأمد وتتفرق بنا السبل ،لأنها صورة أخرى من صور التشكيل الفني للشاعر ، حيث يستوعب المعاني الصوفية ثم يعيد تشكيلها ليخلق منها الأجمل والأفضل فقد امتص معنى ما قاله البدوي ثم قدمه في حلة أخرى جديدة راقية ومثيرة في نفس الوقت.[3]

تتاص مع قصة السيدة "هاجر وابنها "إسماعيل عليه السلام" حيث يستهل الشاعر المقطع فيقول :

أنت وردي وتعويذتي

حـَرمي مـَشعرِي

زمزمي مـَطهرِي

أنت هذا الحفيف

---

[1] - نقلا عن : عثمان مقيرش، المرجع السابق ، ص 173.
[2] عثمان لوصيف : الديوان، ص 29-30.
[3] - عثمان مقيرش: المرجع السابق ، ص 175

وهذا الندى

غبش السههفو على مِ حجر ِي

أنت ناري وصوفيتي.[1]

عندما اشتد بهاجر الظمأ ولم يتوقف إبنها عن البكاء ،راحت تبحث وتتطلع إلى من يكون منجدها ومنقذها وهي مهرولة بين الصفا والمرو ة، فجأة توقف الولد عن البكاء جرت بسرعة نحوه فإذا بها تر ى من أمامه ينبوعا من الماء يتدفق بقوة ،ومن شدة الفرح بدأت تلمه بيديها خوفا منها أن يجف ،فخاطبته زمزم أي لا تفيض ولا تغور ، وكأن الشاعر عثمان لوصيف جعل نفسه بمنزلة هاجر وابنها في حالة الظمأ والتعطش إلى الماء فطلب هذا المفقود من محبوبه ، وأي مفقود ؟ إذ ّه الطهارة والتطهر، وكأنه أراد أن يتطهر بزمز م لما لزمزم من قدسية نابعة من الجنة التي،الوصول إليها يستوجب النقاء الجسدي والنقاء الروحي ، المتعلق بالذات الإلهية التي إذا رضيت عن العاشق غسلته ببرد يسحق الذنوب والظنون ويجلي الرضا الرباني ، وا ِذا حل ّ الرضا الرباني حلت الجنة ، فالشاعر راح يعد متطلباته الكثيرة ليشفع له محبوبه،فقيل الطلب حمدالُمحبوب ومدحه بأنه هو الورد والتعويذة والحماية وأذ ّه الند ّى ،ثم طلب ما يريد والملاحظ أن الشاعر ذاب في الذات الإلهية .

4 – التناص الأسطوري :

الأسطورة هي جنس أدبي يعتمد أساسا على والخيال الخرافة ، وسميت بالأسطورة لأنها توظف أمورا خارقة خارجة عن المعقول، يلجأ إليها الإنسان ليعطي مبررات لكل ما يحيط به في هذا الكون،وا ِذا عجز يستخدم خياله ليحقق التوازن لذاته فيستطيع بذلك تجاوز المحن والعقبات التي تعترضه.

وردت كلمة الأسطورة في القرآن الكريم في تسعة مواضع قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَـٰذَآ ۙ إِنۡ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾.[2]

[1] - عثمان لوصيف :الديوان، ص 86.
[2] - سورة الأنفال : الآية 31.

حسب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب هي " قصة خرافية يسودها الخيال وتبرز فيها قوى طبيعية في صورة كائنات حية ذات شخصية ممتازة وينبني عليها الأدب الشعبي.[1]

ومن بين الأساطير التي وظفها الشاعر نذكر :

أ- أسطورة التناسخ :

أسطورة التناسخ :يعرّف للتناسخ بنظر القائلين به من الفلاسفة والدّهريين وغيرهم على أنه : "انتقال النفس من بدنها الذي كانت فيه إلى بدن آخر من نوع البدن الذي كانت فيه ومن غير نوعه ، وهكذا تبقى تنتقل من بدن إلى بدن آخر وتتردد في الأجسام ما دام الدهر ... والعقاب والثواب يكونان في دار الدنيا، التي يكون فيها أدوار انتقال النفس إلى بدن آخر لا في دار الأُخرى ، فالقائلون بالتناسخ على هذا النحو ينكرون المعاد والبعث والجنة والنار... وبطلان التناسخ ضروري عند عامة المسلمين من شيعة وسنة ، إذ يستلزم القول إنكار المعاد والجنّة والنّار والعقل والنقل يقتضيان ببطلان التناسخ" [2]

فالشاعر يحيلنا من خلال النص إلى أسطورة التناسخ السائدة في عصور سابقة ،وهنا في هذا العصر من يؤمن بها فيقول:

كائن أزلّي أنا

أتناسخ في كل شيء

وأرحلأرحل حيا وميْت

أتناسل في كل عصر

وأسكن في كل بيت .[3]

---

[1] - خالد عمر يسير : الأسطورة ووظائفها في ديوان عبد الوهاب البياتي ، مجلة الدراسات في اللغة وآدابها ،فصلية محكّمة ،العدد السادس عشر ، شتاء 2014، ص 129.

[2] - السيد حسن يوسف مكي العاملي : الإسلام والتناسخ دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1991 ، ص 71-112 .

[3] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 28-29.

عنْتَقِدُ أن الشاعر وظف أسطورة التناسخ لينبه إلى أن هناك معتقدات لابد من معرفتها ليكون الفرد المسلم على عقيدة صحيحة، ولا يترك مجالا لهذه الأساطير والخيالات الخرافية أن تأثر على استقامته وهذا ما دعى إليه .

بـ – أسطورة الخلق:

أسطورة الخلق : "هي قصة رمزية عن كيفية بدء العالم وكيف أتى الخلق الأول إليه وتتم صياغة أساطير الخلق في التواريخ الشفهية ولذلك يوجد لها تأويلات متعددة" .[1] نذكر منها :

قال الله تعالى في شأن أهل مكة : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾.[2] ، وكذلك ورد في شأنهم

أيضا : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾.[3] ، فبإزاء هاتين الآيتين لا أستطيع أن أقول من هو الله الذي أراد به أهل مكة أنه خالق الأرض والسماوات ، إذ كان الدهر هو المهلك والدنيا هي الحياة في عقيدتهم ، لكن الرواة ذكروا أن العرب كانوا منقسمين طوائف متعددة منهم من أنكر الخالق ، ومنهم من أقر به وأنكر البعث ، ... واليهود يعتقدون أن الله فرغ من صنع الكائنات في ستة أيام واستراح يوم السبت وأخيرا خلق الإنسان وشكله على صورته كما يشكل الصانع الفخار ثم نفخ فيه روحا ،... وكانت فكرة أمومة الأرض معروفة وشائعة عند العرب كما كانت منتشرة عند الأمم جميعا .

---

[1] - www.wiki bedia.org/wiki.com. أسطورة الخلق ، وكيبيديا - الموسوعة الحرة .
[2] - سورة الزمر : الأية 38.
[3] - سورة الجاثية : الأية 24.

قال" أمية بن أبي الصلت ":

والأرض مُ َ عقلنا وكانتمنأٌ فيها مـقَابرنا وفيها نـُ ولد.[1]

وكذلك سيئلهبي بن معاذ الرازي ، أن ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار قرار فـَلـِم َ يطمئن إليها ؟ قال :لأنه منها خـُ لق ، فهيملُه ، وفيهتشأَ فهي عـُ شه ومنها ر زُق ، فهي عـَ يشه ، وا إليهيا َ عود فهي كفاته".[2]

وقد وظف الشاعر أسطورة الخلق بما تحمله من إيحاءات دلالية إذ يقول :

نطفة هي ..

جذر البدايات يمتدّ

أسطورة الماء أمشاجه علقهْ

ثم كان دم

مهجة

مغمغمات.[3]

فالشاعريحيلنا بطر يقة غير مباشرة إلى معرفة تفكير البشرالأُو َ ل وكيف أنهم لا يتصورون أن اللهاتكو ّ ن لوحده وهم يعتقدون بأن هناك قوة خفية هي من تسيّره بطريقة نظامية دقيقة ، وكيف أن الله خلق آدم ومنه تناسل الخلق .

جـ – أسطورة السندباد :

كما تصوره ألف ليلة وليلة هو ذلك البطل الأسطوري المغامر الذي لا يهدأ له بال ، لا يكاد ينتهي من رحلة حتى يشرع في أخرى لذا فهو يمتاز عن غيره من الأبطال برحلاته الطويلة عبر البحار والجزر ، وارتياده آفاقا غريبة وعوالم مجهولة تقول عنها المرويات الشعبية الجزائرية " إلي رايح إليها مفقود ولي راجع منها مولود " وعلى الرغم من تلك الأخطار والمخاوف المهلكة التي كانت تسطريقه وتدفع به إلى الموت بالغرق أو الإختطاف والأسْ ر

---

[1] - أمية بن أبي الصلت ، الديوان ، ص 53.

[2] - أنظر : محمد عبد العيد خان ، الأساطير العربية قبل الإسلام ، رسالة دكتوراء ، كلية الآداب ، الجامعة المصرية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1937، ص 157- 162.

[3] - عثمان لوصيف : الديوان، ص40.

في الجزر النائية ، فإنه كان يعود دائما من رحلاته ظافرا منتصرا محملا بالأموال والكنوز العجيبة.[1]

يعتبر عز الدين إسماعيل أن "رمز السندباد الجديد بالتوظيف لأنه مثّل ملامح التجربة الخاصة الواقعية والممكنة ، وتلك الملامح مثّلت ملامح التجربة الإنسانية الشاملة الممتدة التي تتلخص في قصة المغامرة في سبيل كشف المجهول .[2]

يقول عثمان لوصيف:

أمنح الكون آياته

وغواياته

سندباد الأعالي أنا

ها المجرات تسبح بي

والسماوات تسطع بي

تقلّدني هالة من جلال البهاء .[3]

لقد استحضر الشاعر لشخصية "السندباد" ليعبر بصدق عما بداخله من ألم وحيرة واحتراق، فينقلها إلى القارئ ويجسدها في صورة حسية ، حيثيشبّه رحلته هذه برحلة – الرسول صلى الله عليه وسلم– إلى السماء السابعة في قصة الإسراء والمعراج ، ويواصل الشاعر استرساله فيقول:

كم عبرت صحارى القرون العجاف

هتكت حجاب الظلم

وتسلّقت فجر القمم .[4]

فيصل إلىأعلى مرتبة تصل إليها روح الصوفي ، لتعود من رحلتها مطهرة من الذنوب ويُخبر عنها فيقول :

---

[1] - كاملي بلحاج : أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004 ، ص 92-93.

[2] - سعيدي بوعلام : : توظيف الأسطورة في الشعر العربي الحديث لـ إبن حلبي عبد الله، رسالة ماجستير ، إشراف : د. بوعزة عبد القادر ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة السانيا ، وهران ، الجزائر ، 2011.

[3] - عثمان لوصيف: الديوان، ص14.

[4] - المصدر نفسه ص 16

عدت من رحلتي

من تواريخ منسية

وعوالم مطمورة تختمر

جبت أصقاع كل المجاهيل

مخترقا سبلا طمستها

رياح القدر

والسماء فككت طلاسمها

طلسماً طلسماً .[1]

عاد الشاعر من رحلته و قد حصل على الكثير من الإجابات التى كان في تساؤل عنها، فزاحت عنه الألم النفسي و الاغتراب الروحي الذي كان يعانيه ،لأنه وصل إلى درجة اليقين بأنه لن يصيبه إلى ما كتبه الله له وما عليه سوى التوكل والرضا.

د- أسطورة عبقـــر :

وهو موقع تزعم العرب أنه من أرض الجن ، ثم نسبو إليه كل شيئ ،تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته وقوته ، وهذا يفسر رأيهم في الجن وكل ما ينسب إليهم ... وزعموا أن الجن يتشكل بمختلف الأشكال ، كما اختلف النّاس في وجودهم ، فقال قوم من المعتزلة إن الجن والشيطان مردة الإنس ، كما قيل أنّ الله خلق الملائكة من نور النّار وخلق الجان من لهبها والشياطين من دخانها.[2]

فقد أشار عثمان لوصيف إلى: "واد عبقر"وهو واد أسطوري كان النّاس في الجاهلية يظنون أن الجن والشياطين الذين يلهمون الشعراء مَلكة القول يسكنون فيه. [3]

ونجد الشاعر في هذا المقطع يقول :

هي ذي الكأس منك تغار

ومنك تغار المرايا

وقارورة المسك والعنبر

يا لك امرأة من حباب

---

[1] - المصدر نفسه، ص 24

[2] - حسين مجيب المصري : الأسطورة بين العرب والفرس والترك – دراسة مقارنة - ، الدار الثقافية للنشر ، (د. ط . ت)، ص 69-77.

[3] - يوسف الحلاوي : الأسطورة في الشعر العربي ، دار الأدب ، بيروت ، ط1 ، 1994 ، ض 76.

ومن لبن!

يا لك امرأة رسيس الخوابي

وا ٍشراقة المِ زهرِ !

كل يوم تزيدين سحرا

فهل أنت جنية الشعر تسطع من عبقر؟.[1]

يخاطب الشاعر الصوفي الخمرة ويتغزل بها فهي توصله إلى حالة الانتشاء العظيم والغيبة عن جميع ما في الكون لتخلوا روحه بمحبوبه .

هـ – طائـــر العنقاء أو الفنيــق :

هذا الطائر كلما أدركه الهرم يحرق نفسه ثم ينبعث من رماده فتيا قويا ، فهو رمز التجدد والانبعاث ، فيصبح ذات دلالة انبعاثية خاصة مستمدة من الفنيق فضلا عن كون النار ترمز إلى التطهير وا ٍعادة الخلق من جديد.[2]

وظف الشاعر هذا الرمز الأسطوري حيث يقول :

أتذكّر كل الملاحم والمعجزات

وكل الصواعق وكل النوازك

كل البراكين كل الهمِ ْ ..

مر ّة ضعت في جوف دو ّامة

كانت النار مسعورة تلتهم ْ .[3]

الشاعر هنا في حالة إسقاط هذه الأسطورة على حياته الشخصية فرغم ما يعنيه من ألم الاغتراب و التهميش و الاحتراق إلا أنه لا يستسلم

فنجده يقول :

وأرفع بالدم والنّار

معراج كل البشر ْ

في قرار السماوات

حيث النهايات حيث البدايات.[4]

---

[1] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 83

[2] - يوسف الحلاوي ، المرجع السابق ،1994، ص 232.

[3] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص 17.

[4] - عثمان لوصيف : الديوان ، ص ،27.

فهو يعاود التغلب والتجديد والنظرة إلى الحياة بتفائل لأن هذا لا ينطبق إلا على أصحاب الشخصية القوية الرافعة لراية التحدي الإيجابي فيقول :

آه ..هو الموت يا ربّتي في العذاب!
بيد أني أصّر على حصّتي
في الحياة وحصّة معبودتي المجتباةِ
وحصّة كل الذين نجوا
من رياح الدمار
ومن نهشات الذئابْ
وسأبق هنا
سأمسّد هذا الرماد
وأزرع فيه البذور وأدع السحابْ !.[1]

يُؤمن عثمان لوصيف أن الله لم يخلق الخلق عبثا وإنما كلفه بتأدية رسالة ليعود إليه وقد اجتهد فيها ، فالشاعر يعتبر نفسه شمعة تنير درب المارة.

[1] - المصدر نفسه ، ص 66-67.

خلاصـــة :

من كل ما تقدم يمكننا القول أن الشاعر عثمان لوصيف كانت له تعالقات كثيرة مع شعراء آخرين ،هذا إن دلّ فإنّه يدل على ثقافته الواسعة في مجلات متنوعة، فمن خلال قراءتنا لأفكاره العميقة وتحليلنا لشخصيته المتميزة التي تتجاذبها غرائز وعواطف مختلفة من حب وبغض واستياء وفرح وألم وتمني واشتياق وغيرها ،التي برزت عن قصد أو عن غير قصد من شاعرنا في ديوانه .

خـــاتمـــــة

خاتمـــة :

ما يمكن قوله في الأخير أن التناص كمفهوم حديث كان ظهوره على يد جوليا كريستيفا لكن ترجع جذوره إلى حوارية باختين، وتناوله بالدراسة بعدها كل من رولان بارت وجيرار جينيت، ولقد تعددت ترجمته بين النقاد مما أدى إلى خلق نوعا من الصعوبة على الباحث في تحديده ، فلا يخلوا نص مهما أبدع فيه صاحبه من تداخل وتعالق مع نصوص أخرى سواء الحديثة أو القديمة منها ويُحدد هذا التداخل المخزون الثقافي لأنه من المستحيل البناء وبن أساس يُتكَئ عليه وهذا ما ظهر جليا في شعر عثمان لوصيف ، فنجد ديوانه يحفل بالتناصات الدينية والأدبية خاصة وهو ما ساعده في رسم لوحات فنية رائعة استطاع من خلالها تجسيد ونقل معاناته الذاتيه وتطلعاته واهتماماته فعكسها بصورة زاهية تبعث على التفائل والحياة ،كما استطاع توظيف الأساطير والرموز فأخرجها من مجالها التاريخي ليعبر بها عن الواقع المعاش.

وفي الأخير نأمل أن نكون قد سددنا وقاربنا بتحليلنا البسط لهذا الديوان والله أعلم

كما نرجوا أن تكون هذه الدراسة مطية لدراسات لاحقة للشاعرعثمان لوصيف .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الملاحـــــق

نبذة عــن شخصية الشاعــر :

ولد عثمان لوصيف في الخامسة من شهر فيفري عام واحد وخمسين وتسعمئة وألف للميلاد بدائرة طولقة التابعة لولاية بسكرة بجنوب الصحراء الجزائرية ، يقول عنها عثمان " طولقة منذ ولادتي بها ليست بيئة ثقافية ، ولا تشجع على الثقافة ، هي مدينة متدينة ومحافظة فحسب ...وعلى الرغم من ذلك فهناك بعض المواهب الشابة التي تقدِّر الثقافة تحاول أن تشق لها طريقا في الحجارة الصماء ، لكنها مهشمة" ... فالشاعر ورغم مواهبه الفطرية التي جعلته منذ طفولته يعشق الرسم والموسيقى ... حفظ القرآن الكريم ... ونبغت عبقريته ولا عجب ، فالصحراء الجزائرية كانت ولا زالت تنجب العباقرة ... وقد نشأ شاعرنا وسط عائلة بدوية معوز ّة ومحيط طولقي فقير ... فالشاعر عاش بين أطفال بلدته حقيقة لكنه لم يفرح بهذه المرحلة ، ولا شك أن الحرمان في الطفولة ستظهر بعض آثاره فيما بعد ... فبعد أن تلقى الشاعر تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه (طولقة) انتقل إلى بسكرة حيث درس أربع سنوات بالمعهد الإسلامي هناك ليحصل على شهادة الأهلية سنة 1970 ، وفي هذه المرحلة من التعليم المتوسط حفظ القرآن الكريم خلال العطل الصيفية بطولقة ... اشتغل بسلك التعليم وفي نفس الوقت التحق بمقاعد الدراسة في جامعة باتنة درس بمعهد الأدب العربي سنة 1980 ليتخرج بشهادة ليسانس ويعود أستاذا للتعلم الثانوي بطولقة إلى غاية 2001 ... ثم أستاذ مشارك في كلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة محمد بوضياف المسيلة ابتداء من الموسم :2000 إلى 2003 وقد فقد أعز أصدقائه وهو الكتاب ... نتيجة مرض زوجته وكلفه علاجها نفقات باهضة والباقي من الكتب شبَّ فيه حريق مهول ...وعن وظيفة الشعر يقول عثمان أُوّمِنُ إيمانا عقائديا برسالة الشعر وأعتقد أن على الشاعر بعد انتهاء عصر النبوءات أن يحمل المشعل الروحي ليقود البشرية نحو الخلاص و الأمن والسلام ...فالشعر باعتباره فنًا لا يكتفي بالوظيفة الأخلاقية بل لابد له من وظيفة جمالية وأخرى فكرية ... أما مكانة الشاعر فهي – عند عثمان لوصيف – مكانة مرموقة إذ هو عالم لأن " الشعر يسبق العلم إلى كثير من الحقائق ، وقد صدق فرويد (freud) يوم قال

"عن (اللاشعور) لقد اكتشفه الشعراء قبلي بقرون " ولأن لحظة الإبداع التي تعتري الشاعر هي نفسها لحظة التجلي (أي مشاهدة الحق) عند الصوفية ، و" الشاعر هو ذلك الانسان الذي يعيش في طفولة دائمة ، في نشوة متجددة كالطفل تماما " ونبي – بوظيفة شعره لا بالوحي لأن– الرسول عليه الصلاة والسلام – اتهموه بالشعر وهذا دليل على أن هناك في اللاوعي البشري حقيقة تنظر إلى الشاعر نظرة مخالفة لبقية البشر بحيث ترفعه إلى مقام النبوة ...وتطبع أخلاقه ثلاث سمات كبرى وهي : الحس الطفولي ، والحس الجمالي ، والحس الوطني.

أهم مؤلفاتــه :

1- الكتابة بالنار 1982

2- شبق الياسمين 1986

3- أعراس الملح 1988

4- أبجديات 1997

5- الإرهاصات1997

6- براءة 1997

7- غرداية 1997

8- الؤلؤة 1997

9- نمش وهديل1997

10-زنجبيل 1997

11-قراءة في ديوان الطبيعة 1999

12-قصائد ضمأى 1999

13-كتاب الإشارات 1999

14-المتغابي 1999

15-ولعينيك هذا الفيض 1999

16-قالت الوردة 2000

الأعمال الشعرية غير المطبوعة

ريشة خضراء 1999[1]

صيحة الأمر دو ّت

فاستجاب السكون العميق!وكن

وحذ ّت نواقيسه فاختلج ْ

ولهـاً ..

واشرأب ّ الظلام وامتزج ْ

بالرؤى والمرايا التي لألأت

أنجم ً ا وهزج ْ

صيحة ...

واستشاط السديم

تمخ ّض رعداعناصرهتتفكّك

أو تندمج

[1] – لزهر فارس : الصورة الفنية في شعر عثمان لوصيف ، رسالة ماجستير ، إشراف ، د يحي الشيخ صالح ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2004 ، ص 40،43

ثم كانت غيوم وكانت بروق

وكانت رياح وكانت مهج

وسماء بغير عوج

آه ... من فض ختم النواميس

من شد إيقاعها

وأهاج الفضاء لجج

تتلاطم مجنونة

فالمدى يتنبض محتدما

والمسافات مشحونة

وهجا ورهج ؟

آه .. من أي قاع سحيق

ومن أي بيداء أو عدم

يتدفق هذا الضياء

وتزهر بالصور الفاتنات

وبالسحر هذي السرج؟

آه يا وردة السهو

غني لمعجزة الخلق

وابتهجي

ثم صوغي نشيدا تردده الكائنات

وتشدو به الريح وغنج ْ

آية ... من لواعجها

!هذه الشطحات وهذا الأرج

شعث يتزوبع

مندفعا في المتاهات

فوضى تلملم تاريخها

جيشان

دخان

ويل يغور ْ

قعقعات ...صواعق محمومة

وبحار تمور ْ

ورأيت أنا الآدمي ّ

رأيت جهنّم

تأكل أحشاءها النهمات

سمعت لظاها تضج ّ

سمعت الزفير الزفير ْ

وبلا جسد رحت أجتاح طوفانها

كان في باطني

يتشكّل كون جديد

وفوق جبيني تسيل الدهور ْ

وأنا المـ ّيت الحي ّ

كنت أصوغ السديم نجوما

وأرسل في العتماتللبدور ْ

يادم الكون

يا .. يادمي

أجـ ّج العشق نارا ونور ْ

واتل للعالمين كتابك

كي تستفيق العقول

وتزهر بالمجد هذي السطور ْ

سحب تتوز ّعني ..

وخفيفا خفيفا أرف ّ

أصير الضياء ْ

محض روح أنا

تتغلغل في كيمِ ياء السماء ْ

تارة أتناثر عبر الأثير

وأخرى أغمغم في ذرّة من هباءْ

سابح في المدى

تتسابق نحوي النجوم

قلائد من لؤلؤ

وقوافل من زجل وغناءْ

ألج العتمات

أمزّق أكمامها

وأفتّــق أختامها

أزرع النور فيها وأزرع فيها الهواءْ

هي ذي سُدم أنا صادمها

هي ذي جزر أنا راسمها

أتخطّى النجوم إلى المنتهى

أسند النار للنار

والجرح للجرح

أبنيهدائن عائمة في الفضاءْ

والغيوم أغازلها غيمة غيمة

أرسل البرق والودق فيها

أنا الفيزِياءْ

أمنح الكون آياته

وغواياته

سندباد الأعالي أنا

ها المجر ّات تسبح بي

والسماوات تسطع بي

وتقلّدني هالة من جلال البهاء ْ

حقب قد خلون

تواريخ ضوئية

وأنا شارد في مهب ّ السدم ْ

لم ينكفي دم ْ

كنت طيفا من الكهرباء

ولي قوة الكون إذ يحتدم ْ

أي لغز أنا ؟

أي أسطورة بالردى ترتطم ْ

وتظل تسافر من رحم لرحم ْ ؟

كم رسمت الخرائط

كم بت أطعن ليل العدم ْ

كم كتبت الشموس

وأعطيت شكل الكواكب

شكل البحار وشكل الديم ْ

كم عبرت صحارى القرون العجاف

هتكت حجاب الظلم ْ

وتسلقت فجر القمم ْ

كم وقعت على هامتي ميّتا

غير أنّي َ أرفض أن أنهزم ْ

لم أزل منذ مليون عمر مضى

أتذكر كل الملاحم والمعجزات

وكل الصواعق كل النيازك

كل البراكين كل الحمم ْ

مرّة وضعت في جوف دوّامة

كانت النار مسعورة تلتهم ْ

والعناصر تبكي

بكيت طويلا ورحت أعانقها

وأنا أظطرم ْ

لم أزل أتذكّر كل جحيم وكل نعيم

وكل خطاب وكل قلم ْ

مرة دغدغتني غمائم من مـُخمل

حملتني إلى كوكب أخضر

كله أنهر ونعمْ

هذه زهرة تتميّس أو تبتسمْ

هذه نسمات مضمّخة بالعطورات

هذه شعاع نديّ وهذا نغمْ

هذه يد حورية

لألأت في غلائل وردية

مسحت عن جبيني الجراح

وما مسّني من حريق وغمْ

ثم قالت : تعال معي

ومشت بي إلى ظُلّــة كالحلمْ

عانقت ظمئي

أسكرتني رضابا

وقالت :أنا لك خذني سلاماً

وها جسدي جدول عسليّ

تهجّــد به واستحمْ

السماوات ..

ما أعذب الضوء ينساب

في جزر من شعاليل

أو من خلاخيل فضيّة تنعتق ْ

السماوات تنضج

نهر الرؤى يندلق ْ

عالم قزحي ّ

هزيج

أريج .شفق ْ

زغب ذهبي وأجنحة تصطفق ْ

زقزقات

خرير

بساتين معروشة وحبق ْ

كرز .. خرز

وفقاقيع عبر المدى تنزلـق ْ

مقلتا إمرأة خطّـتا قدري

ويدان تشيران لي

أنْ أفق ْ

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم

- صحيح البخاري : تحقيق طه عبد الرؤوف سعيد، دار الرشيد للكتاب ، باب الواد، الجزائر، (د . ط) ، 2003 .

- ديوان قالت الوردة عثمان لوصيف

1. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر أحمد الزمخشري : أساس البلاغة ، مادة (ن-ص) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط2، 2010.

2. أبي القاسم الشابي : الديوان ، (دراسة وتعليق ، أحمد محمد عبد الهادي) مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط1 ،2006.

3. أبي القاسم الشابي : الديوان ، تقديم وشرح ،احمد عبد الهادي ،قصيدة ،أبناء الشيطان مكتبة الآداب القاهرة ، ط 1، 2007.

4. أحمد الزغبي ، التناص نظريا وتطبيقيا ، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ،ط2، 2000.

5. أحمد الشايب : تاريخ النقائض في الشعر العربي ، مطبعة النهضة ، ط2،مصر ، 1954.

6. أحمد الهاشم : جواهر البلاغة في المعني والبيان والبديع ، منشورات دار إحياء التراث العربي ، ط12، بيروت لبنان ، (ب ت).

7. أحمد رضا : معجم متن اللغة ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ،(د .ط)، 1960

8. أحمد ناهم : التناص في شعر الرواد ، دار الآفاق العربية ،القاهرة ،ط1 ، 2007،.

9. اشرف الدين عمر بن الفارض : المطبع الادبية ، 1891.

10. ابن قيم الجوزية : الفوائد المشوق في علوم القران وعلم البيان ، دار الكتب العلمية ، (د .ط)،(د.ت).

11. إليا أبو ماضي : الديوان ، قصيدة الطين ، دار العودة ، بيروت ، (د.ط.ت).

12. إليا أبو ماضي : الديوان، قصيدة الطلاسم ، ج1 ، دار العودة ،بيروت (د.ط) (د.ت)

13. امرؤ القيس : الديوان ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط 5 ، (د.ت).

14. أمية بن أبي الصلت ، الديوان ،(جمعه وحققه سميع جميل الحنبلي) ، دار صادر للنشر ، بيروت لبنان ، ط 1، 1998 .

15. بدوي طبانة ، السرقات الأدبية (دراسة في ابتكار الأعمال الأدبية وتقليدها) ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،(د.ط)، 1986.

16. تيزفيتان تودوروف وآخرون : في أصول الخطاب النقدي الجديد (مفهوم التناص في الخطاب النفسي ، ترجمة أحمد المدني، دار الشؤون الثقافية بغداد ، العراق ، (د.ط) ،1987.

17. جلال الدين القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق فوزي عطوان ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط4، 1998.

18. جمال الدين ابن منظور: لسان العرب ، مادة نصص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ط) مج7 ،2003.

19. جمال مباركي : التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر .

20. حبيب بوهرر: تشكيل الموقف النقدي عند أودنيس ونزار قباني ، عالم الكتاب العربي ، عمان ، الأردن ، ط 1، 2008.

حسن مزدور : توظيف المضمون الأسطوري في الشعر الجزائري ، مجلة التبيين ، الجاحظية ،ع24، 2005.

21. حسين جمعة : المسبار في النقد الأدبي (دراسة في نقد النقد للأدب القديم والتناص) ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، (د. ط) ، 2003

22. حسين مجيب المصري : الأسطورة بين العرب والفرس والترك – دراسة مقارنة – ، الدار الثقافية للنشر ، (د. ط . ت).

23. حصة البادي : التناص في الشعر العربي الحديث ، (البرغوثي نموذجا)، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1.

24. الحلاج : الديوان ، جمع المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون (د.ط.ت.

25. خليل موسى : قراءات في الشعر العربي الحديث والمعاصر ، منشورات متحد الكتاب العرب ، دمشق (د.ط) ، 2000.

26. رولان بارت : درس السيميولوجيا ، جمعة عبد السلام بن عبد العالي ، دار توبقال المغرب ، ط3 ،1993.

27. سامي الدهان : ديوان أبي ماضي ، دار العودة ، بيروت ، ج1 ، (د .ط .ت)

28. سعيد يقطين :إنفتاح النص الروائي ، (النص والسياق) المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب، ط3، 2006.

29. سلامة سعيد : التناص التراثي الرواية الجزائرية أنموذجا ، دار عالم الكتب الحديث ، أربد – الأردن ، ط 1 2010.

30.السّيد الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي : التعريفات ، (باب الشين)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2002

31. السيد حسن يوسف مكي العاملي : الإسلام والتناسخ دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1991.

32. صبري حافظ :التناص وا ٍرشادات العمل الأدبي ، عيون المقالات ،عدد 02، الدار البيضاء، (د.ط) ،1956.

33. طرفة بن العبد : الديوان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، (د.ط)،1961.

34. الظاهر محمد الزاوهرة : التناص في الشعر العربي المعاصر ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1،2013 – محمد مفتاح : دينامية النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط2 ،1990.

35. عبد الجليل مرتاض : التناص ، ديوان المطبوعات الجامعية ،2011.

36. عبد الفتاح داود كاك : التناص (دراسة نقدية في التأصيل لنشأة المصطلح ومقاربته ببعض القضايا النقدية القديمة)، (د.ط) ،2015.

37. عبد القادر بقشي :التناص في الخطاب النقدي والبلاغي (دراسة نظرية وتطبيقية)، تقديم :محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، المغرب 2007.

38. عبد المنعم الحنفي ، رابعة العدوية إمامة العاشقين والمخزونين ، دار الرشاد ، القاهرة ، ط2 ، 1996.

39. عثمان لوصيف : ديوان : قالت الوردة ، دار هومه للطباعة والنشر،الجزائر ط1، 2000.

40. عز الدين مناصرة : علم النص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان الاردن ، ط1 ، 2006.

41. علي عشري زايد : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، ط1 طرابلس ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، 1978.

42. عمر بن كلثوم : الديوان ، جمعه وحققه وشرحه اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط 1، 1991 .

43. غانم صالح الحمداني ، التناص في شعر بدر شاكر السياب ، ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ،(ب .ط) ، 2014.

44. فيصل الأحمر ونبيل دادوة: الموسوعة الأدبية ، دار المعرفة ، الجزائر ، (د.ط)، 2008، ج1.

45. القشيري عبد الكريم بن هوازن : الرسالة القشيرية ، دار أسامة ، (د. ط) ، 1987.

46. كاملي بلحاج : أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004 .

47. ليدياوعد الله :التناص المعرفي في شعر عز الدين المناصرة ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان ، الاردن ، ط،2005.

48. ماجد ياسين الجعافرة :التناص والتلقي (دراسات في الشعر العباسي) ، دار مكتبة الكندي، للنشر والتوزيع ، عمان ، 2014.

49. المبروك زيد الخير: الديوان، ترانيم الوفاء ، مطبعة السلام، (د .ط)، الأغواط ، الجزائر، 2000 .

50. محمد بنيس : ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ، دار العودة ، بيروت ،ط 1، 1979.

51. محمد جودات : تناصية الأنساق في الشعر العربي الحديث ، عالم كتب الحديث أربد الاردن ، (د.ط) ،2011.

52. محمد خير البقاعي : دراسات في النص والتناصية ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ،سوريا، ط1، 1998.

53. محمد عبد العيد خان ، الأساطير العربية قبل الإسلام ، رسالة دكتوراء ، كلية الآداب ، الجامعة المصرية ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1937.

54. محمد عزام : النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، (د.ط)، 2001.

55. محمد مفتاح : تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) المركز الثقافي العربي ،بيروت ،لبنان ، ط،2005.

56. محي الدين ابن عربي: ديوان ترجمان الأشواق، دارالمعرفة،بيوت،لبنان،ط 1، 2005.

57. مصطفى السعدني : التناص الشعري قضية أخرى لقضية السرقات،.

58. مصطفى السعدني ، البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي ، دار المعارف ، القاهرة

59. مصطفى الغماري: قصائد مجاهدة :الشركة الوطنية للنشروالتوزيع الجزائر،(د.ط .ت).

60. نتالي بيغي غرو : مدخل إلى التناص، ترجمة :عبد الحميد بورايو أبو شبكة . بحث في المصادر والدلالات ، مديرية الثقافة لولاية الوادي ،ط2003.

61. نور الدين السد:الأسلوبية وتحليل الخطاب،دراسة في النقد العربي الحديث، ط2، (د.ت) .

62. وليد قطاب : مناهج النقد الأدبي الحديث (رؤية أسلامية) ، دار الفكر، دمشق، سوريا (د.ط)، (د.ت) .

المجلات والدوريات :

1.عزة جربوع :التناص مع القرآن الكريم في الشعر العربي المعاصر ، مجلة فكر وا إبداع ، العدد 13.

2.عمر عتيق : التناص الديني في شعر يوسف الخطيب : ، مجلة مجمع القاسمي للغة العربية ، العدد 6، 2012- خالد عمر يسير : الأسطورة ووظائفها في ديوان عبد الوهاب البياتي ، مجلة الدراسات في اللغة وآدابها ،فصلية محكّمة ،العدد السادس عشر ، شتاء 2014.

رسائل واطروحات :

1. زهرة توفيق أبو كشك : الاتجاه الأسطوري في الدراسات النقدية للشعر العربي الحديث ،رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراء في الأدب والنقد ، إشراف ، د سامح رواشدة ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة مؤتة . 2006

2. عيدي بوعلام : توظيف الأسطورة في الشعر العربي الحديث لـ إبن حلبي عبد الله، رسالة ماجستير ، إشراف : د. بوعزة عبد القادر ، كلية الآداب واللغات والفنون ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة السانيا ، وهران ، الجزائر ، 2011.

3. موسى لعور : التناص في رواية الجازية والدراويش ، لابن هدوقة ، دراسة من منظور لسانيات النص ، رسالة ماجستير ، إشراف د .بلقاسم دفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم الأدب العربي ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2008.

4. هدي فاطمة الزهراء : جمالية الرمز في الشعر الصوفي ،محي الدين بن عربي نموذجا ، رسالة ماجستير ، إشراف د. محمد مرتاض ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ، قسم اللغة العربية ، جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ، الجزائر ، 2006.

5. يوسف الحلاوي : الأسطورة في الشعر العربي ، دار الأدب ، بيروت ، ط1 ، 1994 – لزهر فارس :الصورة الفنية في شعر عثمان لوصيف ، رسالة ماجستير ، إشر اف ، د يحي الشيخ صالح ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2004 .

المواقع الالكترونية :

6. www.wiki bedia.org/wiki.com. الموسوعة الحرة – وكيبيديا ، أسطورة الخلق

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	
الفصل الأول: استراتيجية التناص ونظريته	
المبحث الأول : ماهية التناص	**05**
أ ــ لغة	**05**
بـ - اصطلاحا	**06**
مفهوم التناص	**07**
أ ــ لغة	**07**
بـ - اصطلاحا	**08**
المبحث الثاني : استراتيجية التناص	**10**
- التناص في النقد العربي القديم	**10**
أ ــ الاقتباس	**12**
بـ - التضمين	**12**
جـ - السرقات الشعرية	**12**
د- النقائض	**13**
- التناص في النقد الغربي الحديث	**14**
أ ــ التناص عند مخيائيل باختين	**14**
بـ - التناص عند جوليا كريستيفا	**14**
جـ - التناص عند رولان بارت	**15**
د ــ التناص عند جيرار جينيت	**16**
- التناص في النقد العربي الحديث	**19**

أ – التناص عند محمد مفتاح	20
بـ - التناص عند عبد المالك مرتاض	20
جـ - التناص عند محمد بنيس	21
د – التناص عند سعيد يقطين	23
المبحث الثالث : نظرية التناص	
- مظاهر التناص	25
أ – النص الغائب	25
ب – السياق	25
جـ المتلقي	25
د – شهادة المبدع	26
- أنواع التناص	26
أ – التناص الخارجي	26
بـ - التناص الداخلي	26
- مصادر التناص	27
أ – التناص الديني	27
- مع القرآن الكريم -	27
- مع الحديث النبوي الشريف	28
بـ - التناص الشعري	29
جـ - التناص التراثي	29
د التناص الاسطوري	30
الفصل الثاني: تجليات التناص في شعر عثمان لوصيف في ديوان قالت الوردة	
التناص الديني	34
- التناص مع القرآن الكريم	34
التناص الشعري	50

التناص التراثي	**60**
التناص الأسطوري	**65**
خاتمة	**75**
ملاحق	**77**
قائمة المصادر والمراجع	**90**
فهرس الموضوعات	

الملخص:

يعد التناص تقنية حداثية أول ما ظهرت كانت على يد الباحثة جوليا كريستيفا وقد تناولها بالدراسة كل من رولان بارت و جيرار جنيت .وقد اهتم بها النقاد العرب من أمثال محمد بنيس، محمد مفتاح، وعبد المالك مرتاض وغيرهم .وهو كظاهرة ارتبطت بمجال الشعر أكثر من حيث إعادة تشكيل النص الغائب وفق رؤية شعرية معاصرة وعثمان لوصيف من الشعراء الذين استقوا من هذا المعين فنجده في ديوان قالت الوردة يلجأ إلى توظيف التناص الأدبي بكثرة مع الشعراء العرب وكذا التناص الديني والأسطوري.

كلمات مفتاحية : التناص – النص– حداثية– شعرية.

Résumé :

La convergence est une technique moderne .c etait sa premiere apparition par le chercheur julia christieva .il a ete etudie par roland et gerard hennett.ainsi que les critiques arabes etaient interessé comme mohammed bennis ,abdulmalek mutass ,mohammed muftah et autres ....et aussi une demonstration lieé au domaine de la poésie .plus en terme de restructuration de texte qui est absent ,selon une vision poétique ,contemporaine .othmanne lossif est l un des poétes qui ont bénéficié de cette nomination puisque il est trouvé dans le diwan de : dit la rose ...il a recours de employer la convergence littéraire beaucoup avec les poetes arabes et aussi la convergence religieuse et mythologique

Mots clés : la convergence - le texte – modernité - poésie